

روایات عبر



nlo

ریبیکا ستراتون

# أصابع القمر



كاثارين تحملت في شبابها مالم تتحمله اي فتاة اخرى .  
والدها عاش بعيداً وتوفيت والدتها باكراً . الا انها احبت زوجة  
والدها الثانية ماريا وبعد وفاتها قامت برعاية اخويها غير  
الشقيقين كأم وأب ومربية في وقت واحد ....  
المفاجأة بعد غرق والدها على شاطئ اليونان ان اشقاء  
ماريا ، زوجة ابيها الثانية ، ارسلوا يطلبون رعاية الصغيرين  
بول والكساندر ، وكان على كاثارين ان تأخذها الى جزيرة  
داكوليس....

وهنا. ظهرت في وجهها صعوبات من نوع آخر ، فاعجبها  
الشاب الموسم نيكولاس لبراعته في الغزل الا ان شقيقه البكر  
ستيفان وقف في وجهه مذكرا اياه بخطيبته أثينا... ووجدت  
كاثارين نفسها في مأزق لا تعرف لمن تتجه خفقات قلبها ...  
حتى لا يستها ذات ليلة اصابع القمر...

Liilas.com

اليونان ٨...	اليمن ٨	الكويت ٧٠٠	ليبتان ١٠٠
U.K. £ 1	فرنسا ١	الامارات ٩	مشوية ١٠٠
France F 10	ليبييا ٧٠٠	البحرين ٩٠٠	الأردن ٥٠٠
Greece Drs 120	الغرب ٨	قطر ٩	السواقي ١٠٠
Cyprus P 1	مصر ٨٠٠	عمان ٩٠٠	السعودية ٨٠٠

## ١ - الجولة الاولى

ألفت كاترين غرانجر نظرة أخيرة على الشقة التي كانت تشغلها مع أخوتها الصغيرين طوال السنوات الثلاث والنصف الفائتة، وأثناء هذه المدة لم يروا والدهم مطلقاً، بل تعود جورج غرانجر أن يقضي معظم وقته في الخارج، ومهما حدث لأسرته من أزمات كان يتلافى وجوده لحظتها، ويلتقي عمله كله على عاتق أسرته لتتصرف ولتحل كل مشاكلها بنفسها.

كان يزعم دائماً بأنه وطني ليور، لكنه عاش معظم حياته في بلاد أخرى غير وطنه، تمتاز بمناخ أدفا من انكلترا بعيداً عن أسرته التي كان يقول أنه يحبها كثيراً، مع أنه كان يمضي معها وقتاً قصيراً، ثم يتصرف عنها غير مبالي بأعيانها. ومنذ عشرة أعوام كان جورج في بلد ما شرق أوروبا عندما علم بوفاة زوجته والدته كاترين، فهاضطر أن يعود لمدة قصيرة كي ينهي أعباءاً لم تقو



كاثرين ذات الأحد عشر ربباً يومئذ على الفليم بها. لكنه سرعان ما اختفى مرة أخرى تاركاً كاثرين في مدرسة داخلية، كانت تذكرها كل الكره، وتتمنى أن تعود الى حياة الاسرة ثانية.

وبعد عامين فقط عاد الى انكلترا من جديد بصحبة زوجة يونانية شابة اسمها ماريا التي كانت سيدة طيبة، وقيقة. وتركت كاثرين مدرستها الداخلية، وعادت الى دراستها الفنية وأقامت مع زوجة أبيها.

احتضنتها ماريا وتعاونتا سوياً على احوال غريب جورج غرانجر الطويل، منتقلاً من بلد الى آخر وراء أعماله العديدة.

وكانت ماريا تتقن الانكليزية فلم تشكل لها هذه اللغة أي عائق. ولكن كاثرين أفرقت بعد فترة قصيرة أن مكان ماريا يجب أن يكون وسط أهلها في اليونان بدلاً من وجودها في بلد غريب لا تعرف أحداً فيه. بيتاً زوجها يتغيب معظم وقته في الخارج. لم تكن ماريا ترى زوجها إلا نادراً أو أكثر قليلاً مما تراه زوجته الأولى.

وفي خلال خمسة أعوام ونصف من هذا الزواج أنجبت ماريا لجورج غرانجر ولدين، كانت كاثرين تحبها وترى فيها عزاءها عن تغيب والدها. ولعظم قلب كاثرين عندما توليت ماريا أثناء ولادة الابن الأصغر ولا شك أنها افتقدت زوجة أبيها الشابة وحزنت لوفاتها أكثر كثيراً من حزن أبيها نفسه.

ومرة ثانية عاد جورج غرانجر لدفن زوجته الثانية ومؤاساة ابنته الحزينة بأسلوبه الذي لا يتم عن عاطفة. ثم تركها مرة أخرى بعد أسابيع قليلة. بل كان اهتمامه بها أقل في هذه المرة. إذ كانت قد بلغت الثامنة عشرة من عمرها وأظهرت الرغبة والمقدرة على أن تتولى العناية بأخوها الصغيرين.

ولبل سفر جورج، أخذ لهم مسكناً مريحاً مع سيدة تشرف على شؤونهم. ثم غادر الى جزيرة داكوليس مسقط رأس زوجته الثانية حيث كانت له أعمال

وتصيب في شركة ملاحية وتصدين، فلعلها أسرة ماريا، تدرك عليها ربحاً يجعله في سعة من العيش.

ولم تر كاثرين أو أخوها الصغيران والدهم بعدئذ ولم يدهش ذلك كاثرين برغم أنها كانت تنتظر أن يهتم والدها بطفليه الصغيرين. ومنذ ثلاثة أسابيع فوجئت ببرقية موقعة باسم ستيفان ميديوبوليس تخبرها أن والدها مات غرقاً في حادث وهو يبحر من شاطئ اليونان.

ما كذبت كاثرين ولا ادعت الحزن على والدها. إذ كانت تراه نادراً أثناء حياته وهو غريب بالنسبة إليها. أما ابنها فلم يعرفها حتى شكله. وصممت - كاثرين على اللقي في العناية بأخوها والاعتماد على نفسها لمواجهة المستقبل. ولم تحضر جنازة والدها بل أسرعوا في تشييعه بدون أن يتركوا لها وقتاً كمي تترك أخوها في عهدة أحد، أو تقوم بإجراءات السفر الى اليونان في الوقت المناسب. ثم وصلها رسالة تعزية قصيرة ذات صيغة رسمية أرسلها ستيفان ميديوبوليس يأسف فيها لسرعة تشييع الجنازة، ويبلغها تعازيه. وكأنه يعرف مدى تقصير غرانجر نحو أسرته.

كان ستيفان أكبر أشقاء ماريا. ولكن ما أدهش كاثرين أن ماريا كانت لا تتحدث كثيراً عن أهلها أو وطنها. ربما كان ذلك لقرط اشتياقها لهم. وبعد وفاة ماريا بفترة قصيرة، علمت كاثرين من إحدى رسائل والدها النادرة أن ستيفان يأمل في ضم أخوها الصغيرين الى رعايته إذ كان رأس العائلة. ومن واجبه العناية بطفلي شقيقته اليتيمتين. وكان جورج غرانجر قد رفض هذه الرغبة حينئذ. وربما ثللا يبدو أنه لعل عن مسؤولياته ارتاحت كاثرين كثيراً لهذا القرار فقد كانت لا تريد فقد الصغيرين لقرط تعلقها بهما ومحبتها لهما. ففيها في منزلة ابنتها. لكنه يبدو أنه أعاد النظر في مسألة ترك الطفلين مع اختها غير الشقيقة. فلي يدها الآن رسالة قرأتها للمرة المائة من محاسني ستيفان ميديوبوليس يخبرها فيها أن والدها وافق على أن يكون ستيفان

ولياً لأمرها. وسبب هذا الخبر صدمة قاسية لكاترين. لأنها اعتدت بأخوها بعد وفاة والدتها. والآن سوف ينتزعان من حضانتها، الأمر الذي لن تتحملة أبداً. ولن تجد لقلدها عزاء لها.

ولم تجد لديها الشجاعة أن تخبر الصبيين بأنها سوف يرحلان للكلامة في بلد غريب مع خال لم يراه من قبل، وربما لن يلق نظرها عليها بعد ذلك أبداً. الأمر الذي لن تتحملة، فقد عاشت لها وحدها وليس لأحد أن ينتزعها منها. وكان عليها أن تصحبها إلى نيقوسيا وتسلمها إلى خالها. وفي الوقت نفسه لا بد أن تجد طريقة لتخبرها بذلك الصبر الذي سوف يصعب على بول الصغير فهمه. ويحطم قلبه بحزنه علمه بأنه لن يرى حبيبته كاترين ثانية. ويعيش بعيداً عنها بين أناس لا يعرفهم.

كانت كاترين، الأم الوحيدة التي عرفها، وكان لا يزال يعتمد عليها في كل شيء بالرغم من أنه بلغ السنة الثالثة والنصف من عمره. وحتى أخوه الذي بلغ الخامسة ما زال يعتمد عليها كثيراً. ثم تساءلت كيف يكون الحال عند علمها بأنها سوف ترجع إلى انكلترا وحدها وتركها محاطين بأقربائها الأغرب.

تركت كاترين كل شيء في عهدة السيدة هاريسون مشرفة المنزل. وكانت هذه السيدة الطيبة قد تأثرت بتصرفهم فسحبت دمعتهما لدى وداع الطفلين، ونظرت إلى كاترين وهزت رأسها في حزن. فهي ما تزال في نظرها طفلة صغيرة أيضاً يرغم تلك المسؤوليات التي حملتها وهي يافعة.

وكان الطفلان في قمة سعادتهما وفرط حماسها لهذا السفر المفاجئ. وجلست كاترين بين الحفاة تنتظر السيارة لتنتقلهم إلى المطار وتحاول إخفاء شعورها عن الطفلين وتركها يتعمان بهجة السفر والتطلع للذهاب إلى بلد جديد.

وكانت كاترين رقيقة الملامح يميل وجهها إلى الشحوب، ذات شعر لونه نحاسي غامق، وعينين واسعتين خضراوين وأنف دليق. وقم واسع كثير الانحناء. وكانت تلفت الانظار إليها دائماً، لكنها لم تشجع الماجين بها أبداً لتفاتها في

الضحية بأخوها الصغيرين. إلا كُرست حياتها لها وصممت أن تضي بقية العمر معها.

وكان الخبر دافئاً في ذلك اليوم، فارتدت ثوباً أخضر اللون قصيراً وارتعاً. بدت فيه كصبية صغيرة جميلة. ولما جاء بول الصغير ليتكلم إليها، ابتسمت له، تلقت عيناه السوداوان بالحب والشفقة، مما ذكرها بوالدته فقد كان يشبهها كثيراً. وارتاحت كاترين لذلك لأنه سوف يتدمج مع عائلته اليونانية، التي لم يسمع منها أبداً.

لما أتى كاستر فكان أقل سيرة من أخيه ولكنه يتمتع بالعينين السوداوين الواسعتين. وكانت كاترين تأمل أن يكون ولي أمرها المقبل أكثر عطفاً وحنواً بحسب ما توحى به رسالته.

وبدا بول يحضرها بأسلته عن هذه الرحلة، لكنها ارتاحت عندما سمعت جرس الباب يقرع معلناً وصول السيارة التي ستقلهم إلى المطار. بالرغم من أنها كانت تتشوق معجزة لجعل ستيغان ميدوبوليس يغير رأيه ويترك الطفلين في رعايتها.

ولم تصدق كاترين أنهم غادروا مطار هيثرو منذ أقل من خمس ساعات. فهم الآن يحلقون فوق مطار نيقوسيا التي بدت لها كبلد غريب. ونشأ يختلف عن دنيها بجبالها الرائع الغلاب مما وقع من معنوياتها على الرغم من السبب الذي يكمن وراء هذه الرحلة.

فكرت أن تتمتع بعطلة تقضيها في ربوع تلك البلاد قبل عودتها إلى الوطن وتكون قريبة تجعلها قريبة من الطفلين لفترة أطول. وبدأ لها هذا التفأل سخيلاً في هذه الظروف، ولكن عندما رأت جمال البلاد صممت على البقاء لفترة معها.

كانت الاسبعة دافئة وبدت لها الشمس قبل غروبها ساطعة براقاً لم ترها مثلاً من قبل. وفتت أن تصحب الوالدين لاستكشاف الجزيرة، لكنها كانت قد نال



كل منها التعب، ومالا إلى النوم بعد رحلتها الطويلة.

«الآنسة غرانجر»

سمعت كاترين هذا الصوت الرقيق. يتألفها فضمت الطفلين إليها بحركة لاشعورية وأومات بالانجذاب بعينيها الحضراروين، فوجدت شاباً طويلاً أسمر ذكراً في تلك اللحظة. جازياً، ففكرت شخصيته قبل أن يعرّفها بنفسه وقال وهو يتسم ويمد لها يده:

«أنا غريغوري ميدوبوليس».

وكانت كاترين تعلم أن هناك أكثر من أخ لما رآها لكنها كانت تتوقع أن ينتظروهم في المطار ستيفان ميدوبوليس الأخ الأكبر. كان واضحاً أن هذا أحد أخوة ستيفان، إذ وجدت كاترين أمامها شاباً وسماً للغاية. يتسم لها مَرَجاً بعكس ما كانت تتوقع من طيبة الرسائل التي وصلتها.

«يسعدني لقائك يا سيد ميدوبوليس».

قالت كاترين ذلك ثم نظرت إلى أليكس وبول اللذين راحا يتفحصانه بنظرة متشككة قلقة ويقضيان على يديها بشدة.

«هذان هما ألكسندر وبول، أهما الصبيان هذا هو خالكما».

اتحنى غريغوري عليها ليتقرب منها وأخذ أيديها في يديه وضغط على يد بول بالذات لأنه لاحظ أن شفة الطفل السفل بدأت ترتعش وبدأ في عينيها التعب.

«سوف تروق لكما هذه البلاد. لدي أطفال مثلكما، بنتان، وستريان أماكن كثيرة تستعان فيها بصحيتيها».

سأل بول:

«وهل ستكون كاترين معنا؟»

شعرت كاترين بخيبة أمل عندما نظر إليها غريغوري في تسؤل.

فردت عليه بهدوء قاتلة:

«لم يتعدأ أن يكونوا وحدها».

وشعرت أنها ستتهار وتستسلم للبكاء إذا طالت وفقتهم وكثرت أسئلة الطفلين، لكنها وجدت في عينيها السوداوين، اللتين شبهان عيني ماريا، عطفاً ومودة وشعرت أنها ستواجه ضعافاً أكثر مما توقعت، وودت لو كان الفراق في انكسار وليس هنا فكلمها طال الوقت صعب عليها تفسير الموقف لها. وقالت وهي تتعجب:

«أنا... لم... تتع لي فرصة...»

وهزت رأسها، فأخذ غريغوري ذراعها برفق قائلاً:

«سيكون الأمر أسهل بعد أيام قليلة. والأن ستطير تراً إلى داكوليس. هيا بنا» وأشار بيده إلى طائرة خاصة تلعب في الضوء وتقع في ركن من المطار. أثار عطفها كاترين فانتعشت قليلاً، لكنها توقعت حدوث متاعب ثانية، إذا باتت معها ولو لليلة واحدة في بيتها الجديد، ولذا قالت لغريغوري:

«لا أستطيع الذهاب معك».

واستأثرت عينها بالدموع وضغطت على اليدين الصغيرتين اللتين تشبها بأصابعها في شدة ورغبتها تركها معها حاولت، ثم قالت:

«ليس لي الحق في اللجوء معكم».

التسم غريغوري قائلاً:

«كل شيء حاصر يا آنسة غرانجر سوف تقيمين في المنزل إلى أن يتعده الصغيران حياتها الجديدة. لهذا ما أمر ستيفان به».

هذا ما أمر به ستيفان! كان هذا القول يعكس تماماً شخصية ذلك الرجل الذي أرسل لها تلك الرسائل الجائلة. وبطريقة لاشعورية رفضت أن تكون تحت أي ضغط فهي لم تنس أبداً أنه سبب كل ما تعاني الآن من مشاعر مؤلمة لفراق الطفلين ولم تنعده أن يمل أي شخص إرادته عليها طول حياتها. وتجهت في أن تدبر مجرى حياتها من غير تدخل أي رجل. فلم يعجبها أن يجبرها ستيفان على

البقاء مع الطفلين إلى أن يعودوا الحياة هنا. رغم أنه بدا لها شيئاً بديعاً.

فالتت والانتقال يكاد يخلطها.

«هذا كرم من السيد ستيفان ميدوبوليس. الواقع أنني لم أكن أنوي الحضور معها».

وعضت شفتيها. لكنها رأت في عينيه مرة أخرى نظرة حاثية خاطفة. وأجاب بدهشة:

«من الطبيعي أن يكون ذلك صعباً عليك ولذلك فكر ستيفان في...»

ثم حرّ كتفيه العريضتين كأنه يعني شيئاً واستطرد يقول:

«إنه ليس شخصاً فاسياً يا أنسة غرانجر. ولو أنه يبدو كذلك أحياناً. فأرجو المجيء معنا».

نظرت كاترين إلى أخوها لترى التلهفة والدعوى في عينيها كأنها يلهمها ما يدور حولها من حديث. وشمرت بضغط أصابعها الصغيرة على يديها. فهست إلى غريغوري قائلة:

«أشكرك».

فابتسم في رضى وامتنان.

وأثبت غريغوري أنه طيار ماهر. كما لمجدد حماس الطفلين لصعودها في هذه الطائرة الخفيفة بسبب اختلافها عن الطائرة الضخمة التي ألفتها وأسيكتها رؤية المناظر بسهولة. وألصق كل منها وجهه بنافذة الطائرة عندما أفلعت من نيلوسيا لتتحلق فوق البحر. فلم يسبق أن مرّ بكل هذه المناظر الخلابة التي يهزتها وثالت كلّ اهتمامها.

كان لون السماء ذهبياً براقاً تتخلله بعض السحب الصغيرة. وكأنها قطع حرير ذهبي تسيح فوق البحر الذي بدا بنفسيها في ضوء الشمس. وكان البحر هادئاً ناعياً وكأنه قطعة كبيرة من العقيق تعكس ضوء الشمس وتلألأ ناشرة شعاعاً خلاباً.

«كم يبدو هذا المنظر جميلاً».

قالتها كاترين هامة وكأنها تتحدث مع نفسها. فالتفت إليها غريغوري مبسباً وسألها:

«ألم تزوري اليونان من قبل؟»

«لا أبداً لم أسافر إلى الخارج قبل اليوم. والذي كان يسافر كثيراً ويتركنا في المنزل ونادراً ما يزورنا. إنه يجوب الاقطار ويتنقل بين البلدان».

وبدت في عينيه تسلالات كثيرة. فهو كيونانسي يقبض الرابطة الأسمرية ويعتيرها من صميم التقاليد. ولم يفهم سلوك والدهم أبداً. حتى أنه سأله:

«هل كنت تعرفين والدك معرفة جيدة؟»

هزت رأسها بالنفي قائلة:

«لم أعرفه جيداً. إذ لم تكن تراه إلا قليلاً. حتى أن بول لم يره إلا عندما كان عمره بضعة أسابيع».

والتفتت إلى أخوها الصغيرين فوجدتهما يتابعان المناظر.

«يجب أن يرى كل والد أولاده وهم يكبرون حتى يكون فخوراً بهم. والدك خسر الكثير بعدم رؤيتكم دائماً وترككم تواجهون مصيركم وحدكم».

قال ذلك وهو يمز رأسه أسفلاً لأنه لم يتصور أن أباً يترك أولاده مختصراً وخصوصاً ولدين متمازيين كأخوها.

ووافقت كاترين قائلة:

«نعم إنهما ولدان متمازيان».

التفت إليها. وبدت كاترين كأنها تقرأ أفكاره. إنه أب ليتين وطبيعي أن يحسد زوج شقيقته الراحلة لانجاب صبيين.

وسألته كاترين:

«لست إن لك أسرة يا سيد ميدوبوليس».

«عندي يتتان وللأسف لم أنجب صبيّاً إلى الآن».



وبدا قوله هذا غريباً في نظر كثيرين. فالرغبة في انجاب الصبية ليست من العذل في شيء. ووددت لو صارحته بذلك برغم أنها لم تعرفه من قبل وما رأيته سوى اليوم، وسألته:

«هل يختلف عندك انجاب البنين عن البنات؟ أليسو كلهم في حاجة الى الحنان والحب؟»

وبدت الدعشة في عيني الرجل الماكتنين، ثم ابتسم لها وقال:  
«انك لا تفهمين نظرتنا الى هذا الأمر. نحن نعتبر انجاب الصبية شيئاً يقتخر المرء به، لكننا نحب بناتنا أيضاً ولا بد أن ماريا أخبرتكَ بذلك.»  
وهزّت كاترين رأسها ببطء وسرحت لحظة ثم قالت ببساطة:  
«كنت أحب ماريا كثيراً.»

وبدا الحزن على غريغوري وقال:  
«نحن أيضاً كنا نحبه، لذلك يريد أخي ستيفان ضمّ طفلها اليه.»  
كان الغسق ما زال منتشرأ عندما أنزل غريغوري طائرته الصغيرة بمهارة فائقة ثم ساعد الصغيرين اللذين مالا الى النوم تعباً. وهذا اليها يده لمساعدتها فالتفتت كاترين لأنها لمست فيه فروسية الجبل الماضي التي تدور وجودها في عصرنا هذا.  
«والآن أماننا مسألة قصيرة نجتازها في السيارة الى المنزل.»  
قال ذلك وهو يحمل بول بين ذراعيه ويمتاز الحقل الاخضر حيث حطت الطائرة.

«الصبيّان سوف يستغرقان في النوم فور ذهابهما الى الفراش.»  
ولكن كاترين لم تشعر بالنصب، بل شعرت بانتعاش ومرح. كأنها ثلميثة صغيرة وهي تسك بيد أليكس وتتبع خاله الى السيارة الكبيرة اللامعة التي قادها بنفسه.

أجلس غريغوري بول برقة في المقعد الخلفي وأخذ ألكساندر الى جانبه

وهو يشم لها وجزر رأسه متعجباً وقال:

«البنات يشبهان ماريا الى حد أنه شيء لا يصدق... كنا نخش...»

ثم سكت فجأة ونظر الى كاترين معتبراً، وهو يتخذ مكانه الى جانبها في السيارة وأكملت هي عبارته:

«إن يشها والدي أنا سعيدة لأنها يبدو أن كاترينانيين وليس كالكاتنكيين وخصوصاً في الظروف الراهنة حيث سيصبحان من اليونان ويعيشان بين أهلها.»  
واضطر غريغوري قائلاً:

«لم أقصد أي إساءة.»

فاستمت كاترين وهي تذكّر أن الرجال من عائلة ميدوبوليس لا يحضرون عادة عن أي شيء يملونه أو يفعلونه. وبالرغم من جاذبية غريغوري وسلوكه الذي لا غبار عليه هناك بعض القسوة فيه جعلتها تخشى اقترابها لدى أخيه ستيفان والبقاء تحت سيطرته. إذ لعله يكون في مثل قسوته ويسدون حاجته.

وكانت عائلة ميدوبوليس واسعة الثراء، فهي تملك جزيرة داكوليس وجزيرة أخرى تجاورها أصغر حجماً. ولهم شركات للملاحة واسعة تدور عليهم ربحاً وفيراً. فلذا كان ستيفان ميدوبوليس على رأس هذه الامبراطورية، لا يحصل أن يكون أقل غطرسة وصلفاً من أخيه غريغوري. ومن الأرجح أنه سيكون أكثر غطرسة، خاصة بعد تلك الرسائل القصيرة الجافة التي تبادلها معها، والتي دلت على مدى جيروته وسيطرته حتى على الاغراب.

وكان الطريق الذي سلكاه في السيارة وعراً وصخرياً، لكن المناظر المحيطة به تكشف البحر، وهي مناظر خلابة بالرغم من صعوبة الرؤية مع حلول الظلام. وكان الشاطئ صخرياً متعرجاً تتخلله خليجان رمليّة صغيرة تدخل فيها مياه البحر الزرقاء يهدوء. أما الاشجار فكانت كثيرة متعددة الانواع. عرفت كاترين منها التخليل والبرتقال واللين وكاد عبيروها وجمالها يتسببها السبب المحزن الذي



جاءت من أجله.

«هذه المناظر جميلة جداً».

قالت هانسة وهم يتزلون من التلّ ويلتفتون حول منعطف آخر في الطريق المتعرج «تبدو كالحبال».

«ستروق لك الإقامة هناك».

قالا غريغوري بجديّة، فالتفتت إليه وفي نفسها رغبة غامضة، لأنها لا تنوي البقاء في هذه الجزيرة.

فردت قائلة بصوت هاس حتى لا يسمعا الطفلان اللذان يقلب عليهما التعاس في مقعد السيارة الخلفي.

«ستروق لي حقاً لو كنت مقيمة هناك».

ورد غريغوري عليها بالصوت الهامس نفسه:

«ولكنك سوف تقيمين هنا لفترة بأي حال».

وبدأت بالرد عليه ولكنه أسكتها بحركة من يده بدا فيها التسلط

«هيكلك الاحتجاج لدى ستيلان يا أنسة غرائجر فهو رأس العائلة وبذلك يمكنه أن يوضح لك رغبته».

رغبته... وطفى عليها شعور عارم بالهانة ليجرد أن يعي شخص عليها رغبته.

ثم التفت السيارة حول منحني ثانٍ ودخلت بين صفيين من أشجار السرو العالية. وأمكنها رؤية ملامح المنزل خلال أوراق الأشجار. كانت كافية لتجعلها تعجز بأنها لم تر في حياتها شيئاً أجمل منه...

وكان المنزل مبنياً على الطرف الضيق من الجزيرة، مياه البحر تحيطه وتظهر من كل نواقله. الحدائق الواسعة بأشجارها الكثيفة وزهورها المتعددة تمتد حتى الشاطئ، وتظلل جوانب المنزل، ويطرّق ذلك كله شاطئاً. وعلى متعرج. وكان المنزل كبيراً. لم تر كاترين له مثيلاً من قبل، فجعلها تهملك فيه بنظرات لا تصدق ما ترى.

no

أولف غريغوري السيارة وتزجل، ثم دار حولها لمساعد كاترين في التزل. كانت تصرفاته لا غبار عليها وقد راقت لكاترين كثيراً ولارتاحت لها. وإذا كان منظر المنزل الخارجي مهيباً فداخله يروق ذلك كثيراً، حتى أن كاترين ودت لو أنها لم توافق على الحضور ولو كان السبب بقاها مع الوالدين فترة أطول.

ثم أمسكت بأيديها وقادتها عبر البهو الفخم. وكانت عيونها مثقلة بالنوم، يزل على وشك البكاء، ترتجف شفته السفلى لغرابة ما يحيط به من مناظر، ورغم طفلة غريغوري على تسليم الطفلين لأخيه، انحنى عليه ورثت على وجهه الحزين وهو ينظر إليه يحنو بعينه الداكنتين ويقول:

«من يطول الوقت حتى تشعر أنك في بيتك يا صغيري، أنك بحاجة إلى النوم».

قرة الصبي قائلاً وهو يخفي وجهه في ثوب كاترين:

«أنتي يجهد وأريد العودة إلى منزلي».

رفعته كاترين بين ذراعيها قائلة ودومعها تكاد تتساقط وهي ترى فيه برهف:

«يا حبيبي ستشعر أن هذا المنزل صار مثل منزلك تماماً».

وضع الطفل رأسه على كتفها وأغضض عينيه. وودت لو استقبلهم صاحب المنزل قبل أن يستغرق الطفل في النوم. ولم تكن تبدو في أجل منظر وهي تحصل طفلاً صغيراً نائماً على كتفها. بينما الآخر ينشبت بطرف ثوبها وقد اتسعت عيناه الداكنتان المتسائلتان وصنمنا على عدم البكاء.

وكان الله استجاب صلاتها فافتتح أحد الابواب الموصلة إلى البهو الضخم فجاء، وخرج منه رجل لثقل قليلاً عند رؤيتهم وغشت ملامحه نظرة تعجب غريبة ما لبثت أن زالت ترواً. أعقبتها نظرة فاسية صارمة جعلت قلب كاترين يفرص في صدرها. لا بد أنه ستيلان صاحب تلك الرسالة الجافة التي ما زالت في حنية يدها، والتي تعكس شخصيته وتدلّ على مدى كبريائه وصلفه:

ومذ يده وهو يقترب منها، لكن وجهه كان خالياً من أي ابتسامة مرحبة كالتي رأينا على وجه أخيه في المطار. وكانت ملامح وجهه أقل وسامة من وجه أخيه ويبدو أكبر منه سنًا بكثير. وقررت أن يكون في أواخر الثلاثين من عمره. كان هناك شيء مألوف لديها في مظهره ولو أنه من غير الممكن أن تكون رائته من قبل، ولو صبح ذلك لا يمكن حتى أن نساء.

كان ستيفان أطول قائم من غريغوري، كنتافه عريضتان وله سمرة الرياضيين وملامح الصغر، شعره أسود وعيناه سوداوان. نظروته اللامسية لم تتغير كاترين بأنه سيكون ولياً صالحاً لأمر أطوحها الصغيرين.

أما وجهه الداكن فكان صارماً، ولم يكن كأخيه عندما نظروا إلى الطفلين. ثم قال ببرود بعدما تبادل مع كاترين لمحة مختصرة رسمية صارمة: «لا بد أن يأوي الطفلان إلى فراشهما توأ، فلا بد أنهما يشعرا بالتعب».

وفي الحال ظهرت امرأة سراء من باب خلفي بعض الشيء، واقتربت منهم بينما احتجبت كاترين قائلة: «ولكني دائماً...»

ولم تكمل عبارتها بل أسكتتها إشارة من يده، وساء كاترين أن تطيعه وتكف عن الكلام، ولم يكن في وسعها إلا الطاعة. في هذه الامتلاء كان أليكس ينظر إلى السيدة في رعب ثم خباً وجهه في ثوب كاترين وأطبق بشدة عليه. أما بول فكان مستغرقاً في سبات عميق على كتفها مما جعلها تقول: «يستحسن أن أذهب معها فقد تعذرت أن أصحبها إلى الفراش».

وكانت مصممة هذه المرة ألا تخضع لأوامر أحد. «لا داعي لذلك، كاسيا قديرة أن تضعها في الفراش، تعذرت على ذلك كثيراً» وهكذا ردت ستيفان بلهجة امرأة.

وكانت كاسيا أقل لسة مما بدت لها نظرت إلى كاترين نظرة توحى

بالظلم والخسوس تحت وليست ذراع أليكس برق وهست له يضع كليات يونانية. فنظر إليها الطفل متعجباً هذه اللغة الغريبة، لكنه بدا متشككاً بثوب كاترين وهز رأسه محتجاً... ومرة أخرى تحدثت السيدة باليونانية وبعد لحظة رفع أليكس وجهه إلى كاترين وقال:

«لا أريد الذهاب معها، تعالي أنت أيضاً يا كاترين».

وارتجعت شفتاه. فنظرت كاترين إلى وجه ستيفان الصارم ونساءات. على سبيل سلطه كوني أمر للطفلين الآن فوراً، أم أنه سوف يجعلها تعزدها على طاعة بالتدريج.

ورأت في ملامحه وعينيه السوداوين نفاذ الصبر وأطبق على فمه المستقيم بصرامة مما أفقدها الأمل ولكنها قالت راجية وقد اتسعت عينها: «من يحدث شرر، لتكن هذه المرة الاخيرة يا سيد مينوبوليس».

وردة عليها قائلاً:

«لكن ليس لدينا وقت قبل العشاء حتى يمكنك الاستحمام وتغيير الملابس، دعني كاسيا تأخذها يا أنسة غرانجر».

وشعرت بيد أليكس تلبس على يدها بشدة، أما بول فاستغرق في النوم على كتفها. ولقت كاترين مترددة لأن الطفلين أصبحا الآن في كنف خالهما. ولكن بعد ذلك اليوم الطويل المجهد لن يضير أحد أن تصحبها هذه المرة إلى الفراش كعادتها دائماً. وأوتت إليها غريزتها أن تتوسل إليه بدلاً من أن تنحدها: «أرجوك، لن أأخر وسيكون ذلك في صالح الجميع».

ولم ترق ستيفان توسلاتها، كما رأت نظرة تعجب على وجه كاسيا لمجرد عجزها تغيير رأيه. كان هذا غير وارد على الإطلاق، ولذلك دعشت عندما هز رأسه موافقاً وقال:

«حسنًا إنها ليديها الأولى هنا، ويجب مراعاة شعورها بالغيرة والتعب. اذهبي معها بصحبة كاسيا ولكن لا تضيعي وقتاً طويلاً لأني أريد مناقشتك في



بعض الأمور بعد العشاء بما أنسة فرائده.

ثم استدار ولما من حيث ألقى، وكان واضحاً أنه لم يجب ضيقه والخضوع في  
بينها وقتت كثيرين تنظر وراءه وتتعجب من الشعور الذي ينتابها بأنها وأنها  
من قبل. فوجهه مألوف لديها رغم أنها لا يمكن أن تكون رأته وتبينه.

والعتدت يد. فريغوري تيهها يلقى وأبسم لها مشجعة وقال،  
مستقبل ثانية على العشاء.

وشققت على أصابع يدها يلقى ويتبع أخاه عبر الهم.

وبدا على وجهه كاسيا التعجب والذهشة، فهذه هي المرة الأولى ترى فيها  
من يشغلي مديها...

ثم سارت كثيرين وراء كاسيا حاملة بول وباحية أليكس  
التي تلبس على يدها شمة. وأبسمت لأنها كسبت الجولة الأولى مع سنيان.  
فهذا شيء خطير بالنسبة إلى رجل مثله.

## ٢ - قمر وليل

كل شيء يبدو لها فخماً على نحو لا يصدق بالرغم من تعودها رغم العيش  
كانت تروى عائلة ميديبوليس الواسعة فوق كل تصور وأكبر من أية تروى  
حياتها أبوها نفسه. وكانوا ينغمسون في كل ترف يحققه لهم تلك الثروة. أخذوا  
تسكنون جناحاً خاصاً، ولا شك أن حياتها الجديدة بما فيها من إثارة وغرابة  
لستها وجردها في مكان غريب، فلم يتأثروا كما توقعت كثيرين بل بدا كل  
شيء كأنه في محيط مألوف لديه.

لم تألفها خادعة سررا ابتسمت لها وقالت لها إلى غرفتها. حيث أفضت  
كثيرين. ولما سعيها تنظر حرقاً وهي تستحم وتلبي ملابسها. وبالرغم من أن  
سنيان أفهمها بشكل أو بآخر أن تسرع. إلا أنها أفضت وقتاً لتلبي  
الحجاب وزحام الحمام الجميل وأفضت الحبر والعظيمة مما الضلي على الغرفة لمسة  
الزاد الشرقي الذي اعترضه قمة القمامة واللوق السليم.

واكتشفت أن حنائها سبقتها إلى الغرفة. وأن ملابسها ريتت في الخزائن  
الواسعة فبدت هزيلة قليلة في تلك الخزائن المدة لما يلقى ملابسها أنافة





قال ذلك وهو يشرح بيده بما يدل عليه كلامه.

فابتسمت كاترين مؤامية له. كانت تستطيع أن تتخيل السب الرتبوي. بإجراءات التعارف ولم تقصد تأجيل العشاء.

ورد عليه ستيفان:

«لا أخيه الأكبر مثل غريغوري؟ إن سفينك ميخووليس لن يتردد فقط في هذا التعارف فأخفا بنا. أود أن أقدم الأتمة غرايجر إلى باقي العائلة التيض على مقهى السوط بل لن يتردد أيضاً في استعجال السوط والضرب به إذا لم الأمر.

وسألت كاترين ثلاثياً:

«هل تطيح لأوامر داتها»

ولكنها عجبت كيف هجرات وأقلت هذا السؤال الشخصي عليه. وهو شخص غريب لم تبه من قبل ولم تغالبه إلا في هذه الليلة.

أما نيكولاس فلم يسم لذلك بل هو كغفبه العريشتين بلا اكترات وقال: «ومن الأولق إطاعة أوامر ستيفان كما مستعملين في المستشفى».

للطبت حاجيتها وأجابته:

«ليس لدي التية أن أعلم مثل ذلك»

فالتها بحفة. فافتراعه هذا فاجأها وكان مسددة قاسية لها جعلتها تتصلد. فلما يتصرف الجميع كلها جلدت إلى هذه الجزيرة للبقاء.

ونظر إلى شعرها النجاسي اللامع وضعه كضحكة عاتية وقال بركة:

«أنت شعة ناز. وربما أمكنك السيطرة على ستيفان ولكن ليس هذا سهلاً. فهو رأس العائلة وسيد الجزيرة. ولن يجرؤ أحد أن يتحداه حتى أنت أينما المتعربة الحسنة».

ثم أقالا إلى نفسيهما عند سماع صوت الباب بفتح وخرج منه ستيفان الذي وقف برهة عابساً عندما رآهما معاً. مما جعل نيكس كاترين يسرع خوفاً. الأمر الذي اعتبرته شيئاً بالغ الغرابة. ثم قال غاضباً:

«إننا ننتظركما للعشاء وأنت تعرف هذا جيداً يا نيكولاس».

فرد نيكولاس بلهجة التحدي قاتلاً وعينه تترقان بنيت إلى كاترين:

«إجراءات التعارف ولم تقصد تأجيل العشاء»

ورد عليه ستيفان:

«ثم هذا التعارف فأخفا بنا. أود أن أقدم الأتمة غرايجر إلى باقي العائلة التيض على مقهى السوط بل لن يتردد أيضاً في استعجال السوط والضرب به إذا لم الأمر».

أجابته كاترين معذرة غائقة:

«أبنته لأني جعلكم تنتظرون».

ولكن سادها أن تعتذر له بلهجة الخاضوع. ذلك لأن هذا الرجل يدل على غيره. فاستد نيطاج. وعندما التقى نظرها بنظر نيكولاس تذكرت أنها تمهدت ألا تصعب لأوامر هذا الرجل كالآخرين.

بدا .

لن ستيفان وتبينها إلى العادة كانت هذه الكلمة كاذبة لأن ليجعل كاترين تتبعه وظلها نيكولاس وحين قنع الباب لمحت كاترين الحيات الثلاث في ملابس السهرة الفريدة. يتعيلن بأغل المجوهرات وهن في اليد الأمانة.

أرجنها منظر الغرفة كما دعت لظلم البهو من قبل. فالفرفة مستطبة. سحبا حال وتبعها مصابيح كثيرة مشقولة من الذهب المشوج. مما يضيئ عليها.

من الحصة الشرقية التي وجعلها في غرفة نومها من قبل وعازت إعجابها. سمعت كاترين كأنها لا تنتمي إلى كل هذه الفخامة. فالأناك التمين خلاص النساء الرسمية تبدو بشوها الأصغر البسيط كأنها عصفور الكتل في مكان على بالطواويس.

ونظرت السيدات إليها بأفهام وهي تنبع ستيفان. فودت من كل قلبها لو أنها كانت نوباً رسمياً متأسباً. وهذا ستيفان نفسه مهيباً بلباس السهرة السوداء يمسح الأبيض الزركلي. وكان بنظره دأسوداً أنهما أظهر عضلات ساقه

الطوبى لمن بقوة وتناقص.

ورفضه ستيفان يقدم كاترين إلى والدته.

كانت كاترين قد سمعت من ماريا أن السيدة ميديبوليس تركت الأصيل. ولما حلت أنها سمراء، يغرق لونها سمر أولادها ما عدا ستيفان الذي ورث عن والدته تلك السمات الشرفية. ولما حلت كاترين أن شيئاً ما في السيدة ميديبوليس يذكرها بماريا، وأن عينيها السوداوين النفاذتين تكسر فيها نظرة عطف هائلة ارتاحت لها كاترين كثيراً. وكانت تتبجح بدهاء البلى والغشائنة بخلاف بقية أفراد أسرتها الذين يتصفون بالعصبية وحدة الطبع. أحبت السيدة رأسها إلى كاترين مودة وأمسكت بيدها لفترة بينا راحت لتخبرها ثم قالت:

«أشكر لك اصطحاب حبيبتي».

قالت ذلك بصوت حاد ولكنة أجنبية وانسحبت.

وعطت كاترين شفتيها، فلأول مرة تصدمها حقيقة قلدها بسول وأنيكس. وسألت نفسها هل يمكنها التفكير في تركها بدون أن تعرف المبرور. وردت قائلة:

«أفنى أن يكونا سعيدين هنا كما كانا معي يا سيدة ميديبوليس».

ومدّت السيدة يدها فجأة ولبست غل يدي كاترين بحدان وقالت:

«لا داعي للشعور بالحزن لعدم تغيير وقتك يا مملكتي الصغيرة، أنا متأكدة أنك سوف تسهرين بالمحبة هناك».

وأغضب ذلك صمت كاد يكون ملبوساً نظرت كاترين بعده إلى ستيفان فتمحنته بجز رأسه لوالدته وقد بدت عليه إشارات الأمل لا القسب. ثم عادت تنظر إلى الوالدة لوجدتها غطت نظرها وقالت: كاترين:

«سببتي لا أظن أنك...»

ولكن ستيفان قال لها كي يغزو بحري الهند:

سلي

أمسك بقراعها يفورها بعيداً عن أمه لكن كاترين لم تلمح لحظة ونظرت إلى حبيبته ثم قالت:

«نعم ذلك...»

لكنه لمطعها فتلأى بيرو.

لم تعرف من قبل أن هناك أشياء يجب مناقشتها معك. والآن تعالي لأعرفك على أفراد الأسرة ولندرك المناقشة لطيفة.

لأنه يمكن في وسعها عمل أي شيء أمام هذا الانصراف. فهي لا تريد أن تسبب إحداً وحجة رأت نفسها تواجه امرأة جميلة طويلة القامة سمراء لها عينان سيارتان حزينتان بالزخم من الأيسامه التي تداخبت شفتيها. وسمعت ستيفان يقول:

«عسى أنها الأنسة كاترين غرانجر، وجيلان زوجة أخي غريغوري، كانت تعرف والدك».

تعمرت كاترين أن هناك معنى وراء تلك العبارة الأخيرة. فودت عليه كاترين قائلة وهي ترمي لحاق هيلين:

«لست أنكم جميعاً كنتم تعرفون والدي».

تعمرت بالعطف على تلك المرأة لسبب لا تعرفه. فهي جميلة وغنية. ومنزوجة بزوج الشبه القليل غريغوري. ولم يكن هناك ما يدعوها لأن تعطف. حتى إلا لأنها زوجة أخ ستيفان ميديبوليس الذي قال:

«لست أنا تعرفه جميعاً».

جاءها من زوجة أخيه بالقوة التي أبعدتها بها عن أمه. يد ستيفان التي كانت تلوح كاترين إلى أفراد العائلة لتعرف عليهم أفققتها. وردت لو أبعدتها عنها ووضعت صانعها عند حده. لكن القول شيء والفعل شيء آخر عند التعامل مع شخص مثل ستيفان.



كانت تبتلع ليرة الفاكهة الأخيرة شعرت كاترين بيد نيكولاس  
المراد تضغط على يدها، ووجهه يقترب من وجهها ويهيم لها ابتسامة  
عاصفة تم عن شفاة كانت خفية روح خفية إلى النفس وهو يقرى لها هامساً في

عن تنزيهين معي في الحديقة بعد العشاء.

بحركة لا شعورية نظرت إلى أخيه البكر الذي سبق أن حذره أنها ضيقة

بذلك نيكولاس لم يكن متحفظاً مثل ستيفان. ولم يحاول إخفاء المعاني  
الخاصة وراء أقواله، فدعوتها لها تقصص عما يكتنه لها من إعجاب. فقال لها:

«نفس جميل جداً في الخارج».

نكتها ردت عليه قائلة.

«نكت تأكيد. ولكن لن أذهب لمجرد الزفة. ستيفان قال أن هناك أشياء يود

سألتها معي بعد العشاء».

في نيكولاس كتفيه بحركة تدل على عدم الاهتمام بأخيه الصاغر وقال:

«نكتي ستيفان لم يعرف أين يجده عندما يريد ذلك».

عابر الجميع المائدة ووقفوا يتحدثون بقلوبهم البوصالية تاركين كاترين  
نيكولاس لم تستمع له قائلة:

«ربما أمكنني الخروج معك قليلاً إلى الحديقة والتنزه في ضوء القمر».

وكانت ابتسامته دليلاً على أنه كان يتوقع منها ذلك إذ تعوز أن يمل إرادته على  
الحسن الآخر ليضاح.

تأبط ذراعها وأزب وجهه الأسمر من وجهها. كلياً حال عليها ليكنسها برفق. ولم  
تدرك كاترين حالاً مثل جمال تلك الليلة. توسطت السماء قمر أصفر كبير يظل على  
بحر لونه بظلمة غامق. ويدت الأشجار البياضة وكأنها «دانيل» تشف السماء

وجاء دور غريغوري لم يستمع له ثم واجهت المرأة التي كانت قيام  
نوجدتها لثعل كاساً نصفها مملء بالشراب الوطني ويريق عينها كلياً نظرت  
إلى ستيفان، ويدت لكاترين متوترة تعدة إلى حد ما وتم كسائها عن معاد  
جعلت كاترين ترضي لحالها.

ولقد هما ستيفان بصوت يردد ورتة رسمية قائلاً:

«أبنة عمتا أليسا أنترياس».

ورجعت ذاكرة كاترين إلى الوراء عند سماعها ذلك الاسم، لم تذكرت  
ماريا أخيراً مرة بأن أحد أبنة عيونهم كان يطعم أن يرى أبنته زوم  
لستيفان. وذلك بالرغم من أن ماريا كانت لا تطلع أحداً على أخبار أسرته  
لكن يبدو أن تطغيات والد أليسا تم تحقق، فلم تجد في أصبعها خاتم الزواج  
ولاحظت أن أليسا أغرقت في الشراب التي الذي أدهشها، فهي تترك سراد  
انقلابات بالنسبة إلى العتلات اليونانية نحو نساتها. ولا حظت كاترين أن  
نظراتها كانت تنجبه ذاتياً إلى ستيفان وأن اليد التي أخذت يد كاترين  
كانت ترتعش.

كان على كاترين أن تنهي هذا التعارف بسرعة ومرة ثانية كانت يد  
ستيفان توجهها نحو الباب وهي تتبع بقية أفراد الأسرة. وعندما جاء دور  
نيكولاس استوقفه ستيفان قائلاً:

«نيكولاس اصطحب كاترين معك وأرجو أن تتذكر أنها ضيقة علينا».

لرد عليه نيكولاس. وقد بدا وميض ضحكة في عينيه:

«بكل تأكيد».

وايتم نيكولاس. لما ثم غمز ومد ذراعه فتأبطته وهو يقول هامساً:

«هل ندخل إلى العشاء».

ولولا وجود نيكولاس بجانبها لما أمكنها إكمال فترة الطعام فقد أفرغها كل  
ما كان يحيط بها من فخامة وترق حتى أنها تقبست الصعداء عند ابتهاج الطعام

المضيفة من ورائها. وكان غير الياسين وقهره من الزهور يعجب في الجو الساكن.  
كل ذلك جعل الجو مشحوناً بالخطورة في صحبة ذلك الشاب الساحر نيكولاس  
ميدوبوليس. وسارا خلال الأشجار الكثيفة حيث سادت الظلمة. وكان القمر  
يطل عالياً من كل ثغرة بين الأغصان المتشابكة. البحر يحيط بها وتنتهد  
أمواجه الهادئة عند شاطئها الشاطيء الذي كان يصل إلى حافة الأشجار.

وكان جمال المدينة رائعاً جعل كاترين ترغب في البقاء. لكن لم يكن معه  
السبب إذ كانت تشعر بالتعب وبالمخاطفة المتأينة بعد كل ما مرت به خلال  
ذلك اليوم الطويل المشحون بالتعبير الشامل.

وكانت فرصة وجودها في هذا المكان الجميل وبصحبة ذلك الشاب الجذاب  
شيئاً تقين له. لكن في الوقت نفسه كان تسليم أخوها أليكس و بول إلى  
ولي أمرها الجديدة شيئاً لن تقوى على إحيائه. «هل أنت حزينة؟»

سألت نيكولاس هامساً. فهزت رأسها نازية مع أنه كان يعلم مدى تألمها  
للاقتراق عن أخوها. ثم قالت وهي تبسم:

«كيف أكون حزينة وأنا محاطة بكل هذا الجمال الذي لم أحلم به!»  
فابتسم ولحت أسنانه البيضاء. وقال وهو يلمستها.

«ستطلب لك الحياة هنا».

عبرت كاترين لساعها لمبة التأكيذ هذه. كأنه اعتبر بفارها معهم مثل  
الطفلين قضية مسلماً بها. فقالت:

«لا أنهم لماذا تكررأت والسيدة ميدوبوليس أنني سولت أبي عن هذا»  
ونظرت إليه وشعرت بشوق ذراعها التي كانت تستند.

«نيكولاس»

وسمعت كاترين صوتاً معروفاً جعل قلبها يخفق خوفاً لوصول صامير  
فجأة. فالتفت نيكولاس إليها وقد بدا مزيجاً لأنه أدرك أن احتكاكه لها وصل  
إلى النهاية. ثم قال وهو يضحك:

«تسبي؟ سبق أن قلت لك إنه سولت بجدك عندما يريد ذلك»  
سأل في محاولة الأنسة فرانجو على الغرابة.

قال ستيفان من غير أن يرى مبرراً لثأورة كاترين في الأمر. فحفظ  
نيكولاس على ذراعها وابتسم وقال لها:

«سوف أراك ثانية يا كاترين».

نظرت كاترين إليه وهو يأخذ طريقه عائداً إلى المنزل. وشعرت بالأسف  
بسبب ذلك لأنها حرمت من صحبته اللطيفة ولكن لأنها أيضاً كانت تخاف  
ستيفان والباء معه بفردا. ولم تفكر لحظة أنه قد يتقرب منها كما كان يفعل  
نيكولاس لكنه كان يشعرها بالفضالة وعدم الارتياح معه. وكانت عواطفها  
تتفلقها. وسمعتة يناديها بشوق.

«هل تفصلين الرجوع إلى المنزل لتحدث هناك»

واستغربت كاترين أن يشاروها في الأمر. فردت عليه وقد حبست أنفاسها  
وهي لا تصدق أذنيها.

«لا. هذا شيء لا يهم إطلافاً».

يأخذ لحظة ينظر إليها بعينه السوداوين اللامعتين في الضوء الأخضر ثم  
سار في صوت عادي.

«هل تعزى أخى حذرة الياقة معك»  
فهرت كاترين وأمسها فائقة:

«طبعاً لا. لا».

ارتست على قدمه الرابع استقيم ابتسامته وكأنه وجد ردها المربع مضحكاً  
ثم قال:

«لن لا تعرفين نيكولاس جيداً وإلا ما تقيت هذا الاتهام بشدة»  
ونظرت كاترين إلى الجهة الأخرى وبدأ شعرها في ضوء القمر غامقاً كشعره

بجانب بركة.



« تيكونا من يروق اليه فهو رقيق معي فانيها»

وردة يهده:

«نعم... لأنك امرأة شابة جميلة جداً، والآن لبدأ في مناقشة المسائل التي يجب البت فيها».

واستدارت كاترين وتطرفت إليه مرة أخرى وهي تأمل لو تأسكت ولم تبهك لهذا الطفلين في كتب ذلك الرجل ثم قالت:

«ليس هناك ما نتأمله يا سيد ميخو بوليس».

«بل أظن العكس».

ثم أدارها حتى تواجه البحر الذي راح يهمس إلى الشاطئ. بأمرواجه القندفة يهدو على الرمال. وغشيتها حطلة شعرت فيها بسحر المكان الذي جداً من نفسها ولكنه أثارها في الوقت نفسه ثم قالت له:

«إذن تبقى هنا. إذا كان هذا لا يضايقك وإذا شعرت...»

الواقع أن التعب الذي نالها وفكرة تسليم الولدين لهذا الغريب الفاسي كان أقوى مما تحصله. فعمست شفتيها وغطت نظرها سحابة من الدموع فأبدا ستيغان:

«إذا شعرت أنة غرانجر».

ولم يبد في حسوته نفاذ الصبر الذي كانت تتوقعه لمسحت كاترين عينيها ورفعت رأسها. كانت قد أقسمت ألا تبدي أي تأثر عندما يحين الوقت لتسليم الصبيين، وكان في وسعها أن تحفظ ذلك القسم لولا إصرار ستيغان على مناقشة الموضوع بأسهاب وبكل تفاصيله.

«هل تبيكين يا أنة غرانجر».

سأله ستيغان هذا السؤال بصوت هامس ونظر في عينيها قرأ الدموع تظاهراً. وشعرت بأنفسها الحارة تلهب خديها لمقالت له:

«أقسمت ألا أبكي أبداً. ويحسن أن أحزم حقائبي وأرجل بدون أن أنظر خلفي».

فرد عليها يهده قائلاً:

«كل هذا لا ضرورة له».

تطرت إليه كاترين بسرعة ووجدت نفسها أكثر قسوة في ضوء القمر الأسفر الكبير، وعينيه السوداوين العميلتين بلا قناع كالليل نفسه فهو رجل لن يبد عواطفها، وحناً سوف يجتثها إذا شعفت وبكت وأظهرت أي نوع من العواطف.

ثم قالت له بصوت ضعيف يتم عن مدى تأثرها وفردا انفعالها:

«لست أحب أليكس و بول، ليس كأخوين فقط بل لأنني ربيتها خلال السنوات الأخيرة، وأشعر أنها طفلاي. أنها قطعة من نفسي ولا يمكنني الانفصال عنها».

«إذن لماذا تفكرين في تركها».

وطرقت عينا كاترين لحظة وتساءلت... ترى هل تحمل أو أنها لم تسمع كلامه جيداً فهو حياً لا يعنى ما قاله لها وقالت بصوت مختلج:

«لا أنهم شيء».

«أظن أن عاتلي أوضحت لك ذلك يا فيه الكفاية».

وشعرت أن حسوته يثقل، ثم ابتعد عنها واستند على إحدى أشجار النرو الحبيطة التي بدت داكنة تحت سماء الليل. وقال:

«قررت أن تبلي أيضاً معها هنا حتى - حتى يتعدوا على الحياة».

وكانت كاترين تعلم في قرارة نفسها أنه يعني شيئاً آخر ولكنها لم تجرؤ على الجواب به. فخلقت قلبها وتم تمر نفس ذلك. هل هو الأمل أم التورم أم المخاوف من أشياء أخرى. وسمعه يقول بطريقة الواقعية القلادة:

«سلم أنك وحيدة في الحياة لا أمل لك وأنت صغيرة لا يلقى بك أن تعيش بفرقة في العالم. ولذلك سوف تعيش هنا مع أخويك».

وهزت كاترين رأسها ولعت عيناها الحسرة والواسعان وهي تنظر إليه

وتقول في صوت هامس:

«ولكن هل تقصد أن تكون وبى أمرى أيضاً؟ هذا لا معنى له».

وبعد لحظة رافق قائلاً:

«طبعاً هذا لا معنى له، ولكنك تحتاجين إلى منزل بڑويك وعمل حتى قوتك إنك مثل الأم لأخوتك. فإن أبسط حل هو أن تبقي معها هنا وسوف نعلم بك بما يجعل الطفلين سعداء. ريت الأمر لاحتضار بالي أميتك، وسوف نجد الحل المناسب هنا طيبة كحياتك في لندن وربما أسعد منها».

فظهرت إليه كاترين وهي لا تفكر على تصور مدى التغيير الذي سيطرأ على حياتها إذا عاشت بين أفراد عائلة ميشوويليس. وثلاً فكر مستيقان أنها بحاجة إلى من يعنى بها كأنها طفلة صغيرة مثل الصبي، ثم هزت رأسها وقالت: «لست متأكدة من قبول هذا الوضع».

فلطم حاجبيه وقالت:

«لا أرى أية مشكلة في ذلك».

وسارت قليلاً على الشاقي، وتسرب الرمل الناعم الدافئ إلى حذاتها المرفوح. نعم سوف تواجه مشاكل كثيرة أولاً نيكولاس إذ سين أن حكره مستيقان ونفسه بالاحترام في معاملتها، وكان واضحاً أنه لن يسمح بأي تطور في علاقتها، الأمر الذي يكاد يكون مستحيلاً إذا بقيت معهم.

ثم التفتت إليه مرة أخرى وهو ما زالت مرتكزة على شجرة القرو بدانته الطويلة النحيلة، فبدأ متزناً متنبهاً مقرباً هناك في ضوء القمر كتمثال أسمر عملاق، مما جعلها تظن أنه هو الآخر سوف يكون سبباً يمنعها من البناء معهم والعيش في كنفهم، ثم قالت وهي تتنهد وتزعج يديها إلى وجهها: «يسعدني أن أبقي هنا مع الصبيين».

ولاحظت ابتسامة خاطفة على وجهه كشفت عن أسنانه البيضاء عند اعترافها بهذا التسليم. وقال لها:

«يقين ليس هناك ما تناقشه بعد ذلك».

في تلك الساعة روقت منبسطة وقد بدأ أطول بكثير في الظلال المتحركة، ساء ليرى كالتصميم في ضوء القمر وكانت تخشى أن ينتظرها ليرافقه إلى المنزل، ولكنها شعرت فجأة في تلك اللحظة بذلك الاحساس الغريب بأنها قد سرت ما روته من قبل قسأته.

«يا أميتك قبل اليوم»

كانت ذلك بصوت هامس حائر وهي مثقبة ردة، فلم يرد لنوه بل وضع يده في جيبه وأخرج سيكارة أخذ يشعلها بتنهل ثم رد عليها قائلاً:

«يا فتاة أنت سوف تذكريني. ففي العام الفائت كنت في صحبة بعض الأصدقاء لمتحف الآثار الاغريقية في برمنغهام، أليس كذلك؟»

«نعم يا أميتك».

وتفألت الخجل لها الحقيقة ولكن عجبت كيف ظل يذكرها إلى الآن.

«كنت مع صديقة لي إلى المتحف تاركة أخري في رعاية والدتها».

«لست قد أعرت المتحف بعضاً من قطعي القوية، وأذكر أن قديمك زلت وكنت تفتحن على السلوك».

وأومأت كاترين برأسها. وتذكرت تلك السواعد القوية التي أسرعت بحملها من السقوط على سلم المتحف الرخامي وتلك السبات السراء القوية التي حملت الذي ظل يسلك بها إلى أن استعادت توازنها، وتذكرت مداعبة صديقها لها بأنها لم تستغل تلك الفرصة. وتظرت كاترين إليه وتصاربت مشات: «يا أميتك الختلفة في رأسها ثم قالت:

«يا أميتك أعرفك وتنته».

وقال بركة:

«يا أميتك».

وحقق قلب كاترين فجأة وهي تذكر نظرة التمرد والتمسك التي استقبلها



جها في أول لقاء لها في بهو المنزل. ثم جازفت بسؤاله:

«هل تذكرتني عند وصولي؟»

وأدوماً قائلاً:

«لي ذاكرة قوية لكل الوجوه التي أراها، كما أن لون شعرك شيء يبرز دائماً».

فابتسمت وقالت:

« انكلماتا مليئة بأعداد هائلة من ذوات الشعر الأحمر».

«ربما كان ذلك صحيحاً».

ثم أمسك بذراعها ليصطحبها إلى المنزل عتقراً الأشجار الكثيفة، وشعرت

بأطراف أصابعه تلمس جلدها برقة واستطرد قائلاً:

«ولكن ليس شعرك الأحمر فقط هو الذي يبرزك يا أنسة غرانجر».

ولكن كثيرين لم تحاول الوصول إلى ما يعنيه، فلبسة أصابعه على ذراعها

كانت أكثر إثارة من ضغط تيكولاس، ولذلك سألت نفسها مرة أخرى هل من

الحكمة البقاء معهم هنا دائماً؟

### ٣ - الجواد العربي

وجدت كثيرين أن الحياة في منزل عائلة مينويوليس مشيرة للغاية

لأنهم من بعض المناصب المرتبة التي لم تحسب لها أي حساب. ومن الواضح أن

طراً على حياتها تغيير شامل في كل ما اعتادت عليه من قبل. كانت مثل

أربعين منطقة شغوفة بحياتها الجديدة. وشعرت كأنها تلمس عطفة ترويح فيها

من نفسها، وتشارك الطفولين سعادتهما وفرحهما. وكان الصنفيران يقسمكان

ويشتران بلا انقطاع وهما سعيدان بتزيين الجديده وحياتهما الجديدة.

وشعرت كثيرين أن كاسها بقت أن مساعدة كثيرين لها في العناية

بالطفلين قد يكون فيها بعض المرح. لكنها لم تتخل عن واجبها المعتاد شعورها.

لها يحتاجان إليها الآن أكثر من أي وقت آخر حتى يشعر أنها في بينهما وأنها لا

تدري التخلي عنها أبداً.

استفادان جديهما هذا الصباح.

أخبرت كثيرين الولدين بذلك وهي تقشط شعر بول الذي التفت إليها

وقد بدا القلق في عيشه الكبيرتين السوداءين وقال وهو يقطب حاجبيه:  
«هل هي لطيفة»

قال ذلك بجرأة ومراحة. وألقت كاترين نظرة سريعة إلى المرأة اليونانية كاسيا لتري إذا فهمت السؤال. لكن لم تظهر أي إشارة من كاسيا مثل على أنها تعرف الانكليزية. بل كل ما سمعته منها كاترين كان يشع كلمات يونانية. لكنها كانت دائمة الابتسام سعيدة ومسؤليتها الجديدة فخرية بالطفلين مما جعلها يطمئنان إليها بعدما كانا يتفرقان منها ويبتعدان عنها ويصرخان على التعلق بكاترين. ورأت كاترين أن هذه علاقة طيبة ارتاحت لها.

فردت كاترين عليه قائلة وهي تحاول أن تلمتى بول:

«إنها لطيفة جداً. لقد قابلتها ليلة أمس ورجعتها سيده راتعة وسوف نعيثها»  
«وهل هي ألطف من جنتا سيمونز»

ولم تستطيع كاترين أن تحصى تلبية الأسف التي بدت على وجهها. إذ كانت الجدة سيمونز جدتها لوالدها وهي الوحيدة التي عرفها الطفلان. وكانت متاخمة على والد كاترين لزوجته ثانية حتى أنها كرهت طفليه أيضاً لذلك السبب فردت كاترين وهي تبسم وتطمئن الصغيرين:

«إنها ألطف بكثير من الجدة سيمونز»

صاحا أنيكس بيلا كانت كاسيا تمشط شعره بشدة:  
«وهل متحملة»

هذه المرة ردت كاسيا بصوت رقيق فيه لكنه قوية ذكرت كاترين بلكنة السيدة فيدوليس التي كانوا يتجادلون عنها. وقالت وهي تبسم وتعد العفنين تحية جدتها  
«جيتكيا متحملة كثيراً»

ثم أخافت كاسيا قائلة:

«عاشت سنوات طويلة تحبني حبيداً لها»

«است كاترين وهي تشعر ببعض التقارب تجاه هذه المرأة ثم قالت:  
«لماذا لم حفيدان مرة واحدة. وعليكم أن تكونا مؤدبين جداً عند مقابلة  
«أنيكس الجدة»

«أشارا برأسهما لكتهما لم يرتاحا. وخاصة أنيكس. لمقابلة عدد من  
«أنيكس الجدة دفعة واحدة. وتقت كاترين ألا ترحق الطفلين بذلك. كما  
«لكن أن ستيبان لن يوافق على بذلها قرباً دائماً وإخفاء وجهها في ثوبها  
«لكن لا. ثم شعرت كاترين بالفضولي وهي تنظر إليها طويلاً وتتفحصها  
«لكن ثمرة عناقها وعناية كاسيا بها واحداً يظهرها. ثم أخذت كاترين  
«سجها لي يديها وقالت:

«هل الآن لتناول الإفطار»

«ولمعة الثانية أشارا بالأطعمة. ووقفت ترابها وهي فخرها بها. وكانت  
«لكن بعض عبارات بلقها اليونانية. فردت كاترين لو كسيت كاسيا إلى  
«لكن تفصل لها الأمور وقد هذا الطريق. إذ كانت واقفة أن هذه المرأة لها  
«لكن عند ستيبان. وفي وسعها مساعدة الطفلين كثيراً في التصور إلى حياتها  
«سيدة بسهولة فقد أنقذتها فكرة عدم رؤيتها حالياً في المستقبل. وكم جعلها  
«لكن بسبب ذلك الليلة القاتلة. وعندما أدت إلى فرائها الصباح في ضوء القمر  
«لكن تذكر وهي لا تصدق في اقتراح ستيبان أن تبقى في الجزيرة. إذ لم يعتبره  
«لكن بل تكلم عن الموضوع وكأنه ربه خلة وتلفاً... وقال أن أمتهنها في  
«لكنها من الكلفرا. ذهلت عفت فلم تنزع على الاحتجاج»

«هناك الكثير يجب البتة فيه عندما تمالك شعورها وتستطيع أن تحي معنى  
«لكنها لمعت سلف وحمالة ستيبان والعيش في كنفه. في أي حال يمكنها أن  
«لكن بلاها معهم فترة ترويح عن النفس تقضيها ثم تذهب لحالها. فيها تعارض  
«لكن مع ما يدور في خلد ستيبان»

«لكن طعام الإفطار معاً على مائدة تظللها أشخاص محملة بزهور بنفسجية



اللون. ووجدت أربعة من أفراد الأسرة سبقوا للجنس هناك لكنها لم تر  
استيقان مما جعلها تنفس الصعداء وترتاح لعدم وجوده.

تصادف دخولها وأخرجها مع دخول أحد الخدم يحمل صينية غريساخن وزير  
وقهوة قامت راحتها الشهية فنهت كاترين لدى جوعها.

وهبة غريغوري و نيكولاس والفلين ثم أسرع نيكولاس بضم  
مقعداً لها بجانبه وهو ينظر بعينه السوداءين إلى ثوبها الأصفر الفاتح ويقول  
بإعجاب:

«صباح الخير يا كاترين، إنك تبدو جميلة هذا الصباح».

ومن العجب أنه لم يهتم بأليكس أو بول. فهو لم ينظر إليها ولم  
يتحدث معها. ولاحظت كاترين أن نيكولاس يهتم فقط بالذين هم  
أمرهم، فهي مجرد ولدين صغيرين لا يهتاه في شيء. ولذلك أهمل وجودها ولجأها  
حضورها.

ويبدو أن غريغوري وافق كذلك مظهرها برغم أن إعجابها كان أكثر تحفظاً  
من إعجاب أخيه. أما هيلين زوجته فحبتها بإعادة صانعة من أسرارها ونظرت  
إليها بفضول ولكن سرعان ما انشغلت بضررها.

ولم تأبه كاترين بدعوة نيكولاس للجلوس إلى جانبها، وفادت والديها  
إلى حيث جلست جدها في طرف المائدة الآخر. وتقمصت الجدة الولدين لكنها  
وجهت أولاً الحديث إلى كاترين. كما يهتم الأدب ذلك قائلة:

«هل كان نومك خفيفاً يا أخته غرانجر».

وقالت كاترين وهي تتسم:

«نعم وأشكرك يا سيدة ميدوبوليس فإن غرفتني جميلة ومرحمة».

«أنا سعيدة بذلك».

وأعربت السيدة العجوز عن سرورها وقالت مرة أخرى:

«يسرني أنك لقيديتها مرحمة».

لما التفتت إلى الولدين فلتفتها كاترين قائلة وهي تلتفتها على الالتراب  
من حذوها:

«مر الكساندر يا سيدتي. أليكس... جنتك، السيدة ميدوبوليس».

ثم أليكس بالتحية ووضع يده في اليد التي امتدت إليه لكنه قاوم  
سحبها في جذبه إلى جانبها، وبسرعة فتمعت كاترين بول إلى جده وكان  
أكثر جرأة عند مقابلة الغرباء. فأخذت يده وهزتها بحبيبة ثم جذبه بفرجها  
سحبته بلواحيها. وكانت لحظة موشرة بالنسبة إلى جديتهم، لاحظت كاترين

الأسرع فلا عنيها السوداءين بينما وقف الولدان بجانبها لأول مرة  
يسمعانها بكلمات في لغتها الأصلية. وبعد برفة أحاطت بول. جنته بلواحيه وراح  
يحدث إلى تلك اللغة الغريبة باهتمام. بينما تهتدت كاترين ارتياحاً. وإذا كان  
بول مستعداً لقبول عائته الجديدة فسرعان ما يجلو أليكس حذوه كعادته

وكان نيكولاس يتوقع أن يستمتع بصحبة كاترين باقي النهار لكنه  
سرعان ما أبلغته أنها تنوي التجول في الجزيرة مع الولدين لاستكشافها.  
يحب أمه وصمم على البحث عن تسليّة أخرى بدلاً من مرافقتهم، كما أنان عزز  
كاترين فهي تراه شاباً جذاباً جداً. وكانت تتسنى أن تكمل ما بدأه الليلة  
سابقة من صحبة مريحة ووقت جميل.

التفت كاترين والصبيان الطريق الذي يبدأ من خلف فيلا ميدوبوليس  
لما يخرج بعد ذلك. وكان ثوبها الأصفر القصير يعد ثقيلاً في أشعة الشمس  
عازمة. وودت لو أحضرت معها قبعة. أما الصبيان فكانا سعيدين بجريان  
سرعان وهما يشعران أنها في بيتها. وكان من الواضح أنها تأملها بسهولة لم  
توانها.

كانت جزيرة داكوليس مطوقة بالمياه طبعاً لكن هناك بعض المواقف يترك  
من فيها أن البحر يبعد عنها مسافة أميال. وقد تأكد لكاترين ذلك عندما

وصلوا فجأة إلى مكان مكتشف بين الأعراش والأشجار الكثيفة. كانت الأشجار يزورها الجسيلة ورائحتها الزكية منها النخيل والبرتقال والليمون. كانت أشجار الزروعة على جانبي طريق المطار وكان المكان يزوره وأنواره ورواحته المختلفة يوحى إليها أنها في جنة غريبة تشبهها الزمان والمكان.

ثم أفاق كاترين ونظرت إلى ساعتها وهي تتعجب أنه يمكن لأي إنسان أن يتردد في جزيرة صغيرة كهذه بسهولة.

لم تكن داكوليس جزيرة صغيرة كما تخيلت، مما جعلها تفكر في حجم ثروة آل عبيدبوليس الحالية. فهم يملكون جزيرة أخرى غير هذه الجزيرة الجسيلة. وناوت على الشيبين. وكانت مصممة على الرجوع قبل أن تتوغل في الجزيرة فتضل الطريق. لكنها ألما في البقاء لاستكشاف الأشجار التي تحيط بتلك الرقعة المكتشفة. وكعادتهما لم ترفض لما ذلك الطلب وجلس على الأرض الناعمة الدافئة تنظرها.

لم يحضر كاترين نظارة كيا لم يحضر ليرة تقيها أنفحة الشمس ولذلك أغمضت عينها لتتلاقى الضوء الشديد. واستندت على يديها وأثقت برأسها إلى الوراء فانساب شعرها الأحمر النحاسي على كتفيها. وكان المكان هادئاً يتخلله طيف الأشجار وأصوات مبهمة من النباتات المحيطة به.

كان المكان رابع الجهال ولا مشاكل تتلقفها هناك كما أن الطفلين سعدان في مكانها الجديد. ولأول مرة ودت البقاء الدائم هنا.

ثم فتحت عينها فجأة ونبتت إلى أن أصوات الولدين لم تعد جزءاً من الأصوات المحيطة بها. فوثبت واغتت ونظرت حولها وقلبي يخفق بلا سب لا تظن أن هناك أي خطر عليها في هذه الجنة المادنة، مع ذلك نادى:

«إليكس! بول!»

كان مسرتها ضعيفاً في ذلك القضاء. وحققت نهائياً عند حافة الأشجار. فإذا كان الضبيان ابعدا مسافة كبيرة لن يتمكنوا سماعها. ففكها الحرف لحظة فالتحير

والاشفاق عادة يتجهزون عند تركهم على سجيته.

ثم تغلق كاترين. سوى برهة، لكنها كانت كالمية ليخترقا الأشجار إلى البحر ومن هناك إلى البحر ياغرائه وجاذبيته. ورأتها كاترين قبل أن يغيب عينها بجريان ويختفيان بين الأشجار الموجودة على الجانب الآخر من الرقعة المكتشفة التي تجلس على رمالها. وبدون تردد هربت عبر الأرض الناعمة.

ثم ما التفت في عينها وأخذ قلبها يخفق بين ضلوعها.

ولدت ضربات قلبها فجأة عندما كادت تصدم بجسم ظهر من ضلال البحر فأطلقت صيحة لاشعورية وغطت فمها بيديها وتراجعت وهي لا تقوى على حيلها. كان شيخان مهيأين بقامته الطويلة فكيف يعجز عن مطي جوارحه من البحر. نظرت إليه كاترين بعينين بدا فيها شيء أقرب إلى الخوف من تلك الدجاء بقوة. كانت قصبات وجهه اليدانية تبرز في ضوء النهار أكثر حاررة وصلابة. وخفق قلبها أكثر وهي تتصور رة فعله لو عرف أنها سمحت بسلامة بالتوغل وحدها في الجزيرة.

«كاترين!»

«نما متيقنان، وتساءلت كاترين عن السبب الذي جعله يتأذى باسمها حينما لم هو موافقتها على البقاء معهم أم أن المفاجأة أدت إلى هذه الألفه؟

بعد نواحه الطويل المستقيم وهو جالس على الجواد الجميل راتعاً، قيدا كأنه يبيع بغاراً تسب كاترين خوفها على أخوها لحظة وصل عمل الحرف شعور أنها فجعلت تيشها يسرع في عروقها والدم يصعد إلى وجنتيها.

«كان شيخان يرتدي بطلوناً عاجي اللون ضيقاً وجزمة بنية، أما قميصه بخر عاجي اللون أيضاً شفافاً يطبق على جسمه ويظهر كل حركة من حركات جسمه وكان ينظر إلى كاترين وقد ظهرت تقطعية طفيفة بين حاجبيه.

«الذين قد ذكرت بسرعة اختفاء ألموريا وقالت له:

«سأنتي لقدت الولدين».

«لقدت الولدين».



وأومات كثيرين. وقد بدا عليها الحزن فازداد وجهه عبوساً واستطرد قائلاً:  
«لا بد أن تجعلها في الحال. كانت حاملة منك أن تتركها يستعدان هناك».

وترجل برشافة من الجراد ونظر إليها بصرامة. فقد كان عليها مراقبة الولدين خصوصاً في ذلك المكان الغريب. وهي تلام أشد اللوم إذا أحسب بأي مكره. لكنها لم تمنع ذلك الأسلوب الذي اتقده لومها وظهر الاستعاض على وجهها وألا تعرفين أن الشاطئ.. على هذا الجانب من الجزيرة صخري خطير لا يقوى عليه أي سباح ماهر ولا فرصة لرجاء طفلين صغيرين إذا فكروا في الذهاب قريباً من البحر».

واعترفت كثيرين قائلة:

«لم أكن أتصور أننا قرب البحر. خيل لي أننا نبعد عنه بضعة أميال».

قال ستيفان وقد بدا أنه يحترق فله معلوماتها:

«المره يكون دائماً قريباً من البحر في جزيرة هذا الحجم. تعالي تبحث عنها في الجانب الجنوبي أولاً».

«أذهب أنت في ناحية وأخلد أنا الجهة الأخرى».

الفرحت عليه. كثيرين ذلك حتى لا تكون في صحبة رجل كان واضحاً أنه يعتبرها بكها، مهينة، ومرة أخرى أدانت العيان السوداءان قلة معرفتها وقال ستيفان:

«لا فائدة من ذلك. أتيت تراء من الجهة الشمالية مراء بكل الشاطئ» فلم أرها أثراً. تعالي فلأنا نصيغ الوقت».

واعترفت كثيرين قائلة:

«أنا متأكدة أنها لم يبتعدا كثيراً فقد أضيضت عيني برهة لصيرة فقط».

نظر إليها ستيفان بينا شفا طريقها داخل الأشجار وقال:

«هكذا: هل كنت تامين في الشمس وتتركين أخويك بدون مراقبة؟»

وزم لمة الواسع المستقيم واستطرد قائلاً:

«الطبعي ألا أسمح لك بالخروج معها بعد اليوم لأنك لم تتعهد بها».

قامعت عيناها بالغبث وهي تحت خطافها لتتحقق به. وتنفس بصعوبة. وادخرت بعدة قائلة:

«ليس لك الحق أن تهمني بالأهمال، اعتنيت بها أكثر من ثلاث سنوات ولن أتركها مني من أخذها معي إذا أردت ذلك».

وارتفع حاجب أسود وأدار رأسه لينظر إليها وقد زم فيه بصرامة وقال:

«من أين أنت يكتفي منك. أنا الوصي الشرعي عليها. وإذا قلت ذلك لن تقرجي معها بعد اليوم فهذا ما سيحصل.. هل تلمحين؟»

وردت كثيرين بسرعة وقد بدا الغضب في عينيها الخضراوين:

«أناك لست الوصي على أنا. وإذا أردت أن أحمالك لن تستطيع أن تفعل شيئاً».

توقفت عن السير فجأة والتفت لينظر إليها بغضب مما جعلها تشعر برجة في الظهر، وعرشة غريبة في أطرافها وقال بهدوء خطر:

«أستطيع أن أفعل الكثير يا كثيرين. كما سولت ترين وذلك إذا لقد صيري. وليس هناك من يتحداي ويحب من عفاي. وأنا أحذرك حتى تسير الأسير بسهولة وبسر».

«لو يجبرني أحد على القيام على جزيرةك الملعونة».

وبدا يتحدث هذا مسيئاً حتى في نظرها. وشعرت بالهيجل عندما لاحظت انضمامه خفيفة ظهرت على ركني لمة عندما شعر أنها تتحدا».

ثم قال لها بهدوء وهو يحظر بين الأشجار:

«أنت غير مجربة على القيام هنا بالطبع. يمكنك العودة إلى انكلترا متى شئت لكنني أعتقد أنه يصعب عليك تفسير مفرد الفاجيء إلى أخويك. فيها لن يجدا لذلك سبباً. ولا أنت أيضاً».

لم تجب كثيرين. ولو أنها كانت تراه أن تقول الكثير لكنها لم تزل الصمت

الذي كان يدل على نيتها أنه واستيانتها من أسلوبيه. وكانت تحاول أن تلحق به  
وهو في طريقه بين الأشجار ليخرج إلى الطريق. فلم يكن الزمان أو المكان  
مناسبتين للتحول في أمور شخصية.

وكان المكان جبلاً. فالوان الزهور والاحتها الزكية والخلط الأصغر جعلت  
عراكتها أشبه بجريمة لا تقتصر. كل هذا الجبال يملكه هذا الرجل الذي يشي أمامها  
بقامته الطويلة القوية. وجسمه القوي يبدو بدائياً متطلقاً كالتبادلات حولها.

ولجأة ظهر الطريق أمامها ومن وراءه مياه البحر الزرقاء الزرقاء. ولم يكن  
البحر في تلك البقعة ينساب يهدوء مثل أنسيابه بجانب النزل. بل كان يند  
متلألئاً عند اصطدامه بالصخور الرمادية التي تكوّن الشاطئ. في هذا المكان  
ولجئت الدم في عروق كاترين عندما رأت خطورة المكان على الأطفال  
أمثال أليكس و بول اللذين لم يتعودا هذه الجهات. وأجرت أن ستيغان  
كان على حق عندما رآه إياها في تركه الطفلين بعيدان عن نظرها.

وصاح ستيغان يقول:

وأراها!

وكانت كلماته غليظة ومختصرة لكنها جعلت كاترين تثبت الصعداء عندما  
سمعت أصواتها وودت لو خرجت إليها وهمت بتدبيرها لولا يده التي امتدت  
وأمسكت بذراعها بعنف فأسكنت صيحتها وثلث حركتها. ونظرت إليه متسائلة  
فرد عليها خائلاً بلهجة صارمة:

«انتظري هنا. سأذهب لأحضرها».

«ولكن...»

«انتظري هنا»

وكان هذا الأمر كافياً لامتثالها. لكنها كانت تقبل إلى تحديه أو على الأقل إلى  
أن تتبعه وهو يشي مسرعاً نحو الشاطئ. الصخري إلى حيث يوجد الأطفال.  
وكانا بتسلفان الصخور الخطرة التي تبعد عن كاترين و ستيغان يتحو

صوتاً قديماً بدون أن يلاحظا قدوم كاترين أو ستيغان.

بعد برفة رأى الطفلان ستيغان وعرفاه لتسمرا في حكايتها عندما لاحظا  
صوتاً وشعرا أن هذا الغضب منصباً عليهما. ولم يكونا قد عرفا بعد مدى سلطة  
ستيغان عليهما. ولكن كاترين اعتقدت أنها سرعان ما سيغفلان ذلك.

ولم سمع كاترين ما قاله ستيغان لها بعد المسافة لكنها رأتها  
تجلس الصخور ويهبطان من القمة إلى حيث وقف ستيغان ليساعدهما.  
ولم ينجح ويكلم كل طفل على حدة ورأت الطفلين يمتدحان رأسهما طاعة له.  
ثم أخذ نظرها فوقع على كاترين

وأصرح بول إليها ووجهه يضيء بأن لديه ما يريد إخبارها به. فجلست  
وأصغرت وأصغرت له. لكنه كلف فجأة عن الجري عندما سمع الصوت العميق  
الامر بتوقف.

وقف بول فوراً والتفت إلى ستيغان بتعجب وخوف من ذلك الأمر  
الغريب. وهمت كاترين نظريته كالمسألة والتعجب الذي طرأ عليه وهو يلقيها  
من عينيه السوداوين على الرجل الذي نهى عن الركض إليها. لم يتعده بول  
من حداثته أن يكلمه أحد بهذه اللهجة الحادة. وتعثرت كاترين شفتها وهي  
أصغرت. واعترفت بأنها لا تعرف شيئاً عن أفكار وصيها حول الطاعة وحسن  
السلوك واعتراها الخوف عندما تصورته قاسياً جالماً كما تتم قسبانته. وصمتت على  
الدفاع عنها منها كلها الأمر. وبصرف البصر عن أوامره إليها بعدم التحرك  
أدبرت كاترين نحوها وهما يتقدمان نحوها من جهة الشاطئ الصخري.

وبالرغم من تلك المسافة استطاعت كاترين رؤية نظرة الأذى التي بدت  
على وجهيهما الصغيرين وخيا يسيران بجانب ولي أسرها الصارم. فتسائلت  
كاترين كيف يمكنها الرجوع إلى وطنها وتركها تحت رحمة وقسوته التي لم  
يسبقها مثلاً من قبل.

وكان بول هو الذي ابتسم لها أولاً ابتسامة خفية. وعيناه الواسعتان



تأجيلاتها ووجدت كاترين صعوبة في ضبط شعورها. وقال لها:  
«جربنا بعيداً ونحن آسفلان».

ثم نظر إلى الرجل الطويل الضارم بجواره. وردد أليكس الاعتذار نصف  
وكانه يردد درساً.

«نحن آسفلان».

واستنتجت كاترين أنها تلقيا تعليقات كي يحتقراها، ويبدو أنه كان لكون  
واحد نصيب من اللوم، فقد التقى ستيفان محاضرة عن الاختلاف للثلاثة مع  
«يا أحيائي...»

بدأت كاترين كلامها وهدت بأن تأخذها بين فراغيتها، فشعورها بالحد  
لرؤيتها سألين كان قوياً. لكنها رأت يدين قويتين تقبضان على أيديها  
وتبعدها عنها وتحركان في قيادتها. وسار المصعب في الطريق إلى المنزل بصمت  
وأسفه. لكن كاترين لاحظت أن الطفلين كانا يشعران بالفصول والتعب  
معاً. فهد الرجل القوية المتحركة كانت تجربة جديدة عليها، ولم يكن شعورها  
واضحاً تجاهها لكنها لم يقابلا ذلك بالاعتراض التام.

ثم قال ستيفان وهو في طريقه غير الآحراش متجهاً إلى الرقعة المكتشفة:  
«إن تذهبوا لاستكشاف الجزيرة مرة ثانية إلا إذا كان معكما من يلدس على  
مراقبتكما مراقبة دقيقة ومستمرة. هل تفهماني؟»  
«نعم يا سيد مد... موب...»

وقضت كل محاولات أليكس في لطق الاسم صحيحاً. أما بول فلم  
يجادل ذلك.  
«أنا خائف».

قال لها ستيفان ذلك وهو يحسك بها ويحني عليها حتى يمكنها فهمه:  
«يرجى أن تهادباني: خالي ستيفان. هل يمكنك ذلك؟»  
واستغربت كاترين لهجته وسلوكه تحريها، إذ شعرت بأن هناك بعض

شيء يربط بين الطفلين جعلها تحس بعيدة عنها. وسبب ذلك لها شعوراً  
بالحزن وحاولت إخفاء هذا الشعور بتناولها زهرة حمراء كبيرة قطفها من غصنها  
وعلمتها حول أصابعها.

قال الجواد العربي اللبيب يثق الأرض بحالته غلفاً، وأثار مظهره كثيراً  
الغيرة والاعجاب. وكانت كاترين تشعر بالبعد عنهم برغم محاولة بول  
تهدئتهم إليهم. فاستمت ولم تجرد على بس جلد الجواد الأسود الحريري خشية  
من أن يورث الوراثة لأقل حركة. وصاحت قائلة بصورة تلقائية:  
«يا جواراً من الجواد».

جاءت كاترين الولدين فالتفت إليهما ستيفان وعيسى في وجهها وقال:  
«هناك ما يخلص من الجياد إذا كانت محكمة القيادة».  
قال لها ذلك وقد تقدم صبره:  
«لديها لم يعتاد الخيل».

وقالت كاترين تتخذ لحظة الدفاع دائماً. الأمر الذي لم يروق لستيفان:  
«أخفي ذلك. فهل المهم أن أحداً منها لا يمكنه الركوب».  
«إن لسؤاله هذا صيغة التأنيب. فبرقت عينها غضباً وأزاحت حائل شعرها  
الأمر عن جبهتها ولالت وهي تنظر إليه بخشب».  
«يا زالا صغيرين»

ورد عليها باقتضاب:

«لها أكبر مني سناً عندما بدأت تعلم الركوب. وسوف أعمل على تلقينها  
ركوب أخيل فوراً. ثم راح يتفحصها بعينيه الداكنتين العميقتين من رأسها إلى  
أسفها وألمها».

«عل تركبون الخيل»

فهزت رأسها نافية ذلك، وكان قلبها يخفق بشدة ورأعها كل ما أحاط بها من  
أشياء أثارت اهتمامها وردت قائلة:

ولم أتعلم ركوب الخيل أبداً.

«حسناً»

أدهشها رده هذا ونظرت إليه برهة متسائلة فقال لها:

«أكره النساء اللواتي يركبن الخيل انهما رياضات لا تليقن إلى الأنثى بصفة. فكري ككاترين أنها لم تقابل رجلاً قبل اليوم أكثر منه صلابة وجبراً. وما لا شك في أنه يعتقد أن كل أرانه صائبة. وقال الولدان:

«هل يمكنكم تعلم ركوب الخيل حقاً يا خالي - يا خالي مشيقان»

والغريب أن أليكسي هو الذي سأل هذا السؤال فنظر إليه مشيقان ولم يتيسر إجابة خفيفة:

«طبعاً سوف تتعلمان، فالأمر يختلف مع الصبية».

ولم تدر كاترين أي شيطان دفعها أن تخالفه وتتحداه، فرفضت رأسها ونظرت إليه من خلال أهدابها الكثيفة وقالت:

«أود أن أتعلم أنا أيضاً».

فاستدار ستيفان ونظر إليها، لمأت كاترين قسباته وقد كسبتها نظرة قاسية وظل ينظر إليها برهة رأت كاترين خلالها عرقاً يتصب في الجانب الأيمن من جبهته وقال بهنو:

«هل تقولين ذلك ليجرد التحدي»

وشعرت كاترين أن وجهها كسبه الحمرة لأنه اكتشف حقيقة نواياها بدقة. ثم استطرد قائلاً قبل أن تستطیع الرد بالنفي أو الالجاب:

«إن تتعلمي الركوب وأنت على هذه الجزيرة».

«لنفسه مملكتك»

وكان ردها تلقائياً، وكانت تعلم جيداً أنه سوف لا يلبثه ولكن لبثتها رأت له الواسع يتفرج عن بسمه تألفت أبشاً من عينيه. ووافق على قولها بركة:

«ملكيتي! هكذا يصلها نيكولاس، ولذلك أستنتج أنك قررت رؤيتي من

المرحبة»

ولكن كاترين هزت رأسها بسرعة تنفي هذا الاتهام برلم أنها والقة من ردها وأرى نيكولاس في أخيه عاجلاً أم آجلاً إذا بقيت معهم في جزيرة سانتا.

«يا أكوّن وأبي بنسي»

«لكن ذلك بقوة وهي عصية ألا تنهزم»

«فصحك ستيفان ساغراً وقال:

«لماذا اتخذت القرار لنسك إلى عائشي لم أكوّن عند أية فكرة طيبة أو حسنة، ويريد أن تفعل مثل بدلاً من تكوين رأي خافلي» مبني على فكرة نيكولاس خفي»

«ولكني لست متأثرة برأي أخيك عليك»

«لكن ذلك احتجاجاً، فهو كنفية العريشتين واستدار إلى الناحية الأخرى قائلاً في برودة:

«النساء في بلادنا لا يناقشن الأمور ولا يدخلن في جدال»

ثم نادى الجواد الأسود إلى صافرة فريية وامطأه برشاقة ويسر، ونظر إليها من فوقه من خلال عينيه السوداوين وبقامته الطويلة المعتدلة، وجسده الأسمر يظهر من خلال قميصه الشفاف وقال لها:

«هناك أشياء كثيرة يجب أن تتعلميها يا كاترين ولكنك ما زلت صغيرة وأمانا الوقت الكافي لذلك».

ولم ينطق بكلمة أخرى ها أول للصبيين.

ووقف الثلاثة ينظرون إليه وهو يتجعد عنهم بجواده، وكان نبض كاترين يتلاحق بسرعة وهي ترى ظهور المستقيم وقامتة الطويلة وساقيه القويين وبهذه السراويل اللتين تقودان الجرافة، ولذلك لم تكن والقة من أن يكون الغضب وحده هو كل سبب هذا القلق. وكان كل من الرجل والجواد مستبداً قوياً بطريقته. يشعر بشقته في لونه وفي إشارة الإعجاب به ويكرّنان معاً ثنائياً رائعاً.



الحياة في جزيرة تاكوليس. لن تسير في هدوء، هذا ما شعرت به  
كاترين، لكنها شعرت لحجة بأنها مستعدة لقبول أي تحدٍ يسببه لها ستيفان في  
جزيرته. بدا لها في تلك اللحظة أنه على حق عندما قال إن هناك أشياء كثيرة لا  
أنت تعلمها. وأول هذه الأشياء ألا تتأثر بطغيان وجولة مطبقها.

## ٤ - الأسهم....

مضى الآن نحو ثلاثة أسابيع على وصول كاترين إلى الجزيرة، وقد اعتادت  
ألا أخربها أقل مما كانت تفعل. ولم يكن ذلك لانتصرامها عنها كلياً، إذ كانا  
يعرفان بعضهما بعضاً دائماً أحداث يومها كما تعودا. ولكن كان هناك الكثير من  
الطراف الجديدة المثيرة التي تشغلها وتجعلها يتسيران أنها أهملها.  
وذهرت كاترين أنها الطريقة المثلى التي تكتسبها من الانفصال عنها  
سيرة. لكنها كانت تشعر بمرارة أحياناً عندما تراها مقبلين على الغياب مع  
كاسيا وانتهي ظلها إلى الشاطئ، أو السير في الجزيرة لاستكشاف دروبها.  
أحدث كاسيا الأطفال الأربعة في زيارة ثانية إلى شاطئ قريب وبلغت  
الكثيرين وحدها في صحبة هيلين ميدوبوليس التي لم تكن ترتاح إليها  
كثيراً.

ولم يكن هناك أي سبب لتكرار هيلين كاترين لكن بعدما قدم ستيفان  
الكثيرين إلى هيلين ليقة ووسطها شعرت كاترين أن العلاقة بينها بشوفا  
أول من الجلاء. ولكن هذا الشعور كان بعيداً كل البعد عن الغيرة بسبب إعجاب  
لرغوري الظاهر بها.

كان يبدو على هيلين جو من التعاسة يصعب تفسيره. قد يرجع إلى معاملة  
لرغوري الفائرة لها. فلم يكن يبدو عليه أنه متحمس بزواجه أهدأ، ولكنها  
محتشقة في سلام معاً لا تنقلها بالطبع المشاكل المالية. وبسبب عدم شعورها  
بالارتياح في صحبة هيلين اختارت كاترين عن عمد موضوعاً للحديث

شعرت أنه لا يمكن أن يثير جدلاً من أي نوع، فعددت عن الجزيرة واختلانا  
عن البيت الأول التي تنبأت فيها، ولكن حتى هذا الحديث العابر لم يكن يثير  
أي اهتمام أو حاس لدى هيلين، وعندما بدأت كاترين تقارن بين المتأخرين  
قالت هيلين بصوتها العميق:

«لم أذهب إلى انكلترا أبداً ولذلك لا يمكنني المقارنة.»

فسألتها كاترين وهي تحاول أن ترسم علامة الحسد على وجهها،

وهي عشت هنا طول حياتك؟ أنا أحسدك على ذلك، إنك محظوظة.»

«هل تظنين ذلك؟ هل تظنين أنني محظوظة؟»

ولدت هيلين فيها الرابع بريرة، وعندما ضحككت أطلقت صوتاً قصيراً جافاً  
لا يبدو فيه المرح ثم قالت:

«كنت أرى أن أجوب أفطار الدنيا وأرى بلاداً أخرى...»

وهزت كتفيها، ومرة أخرى لوت لهما بريرة وقالت:

«هل تظنين أن هذه الجزيرة هي الجنة بعينها يا كاترين؟ إنك لاتعرفين القضايا  
الخفية التي تحيط بهذه الجنة. كاديويليس هي الجزيرة التي جئت منها وشبه  
هذه تماماً وتشكل مثلها سجناً لي.»

«أسئلة.»

كان من الصعب الرد على هذه المראה وهذا الاستياء، وشعرت كاترين  
بالعطف على هيلين لتعاستها الظاهرة، لكن في الوقت نفسه تساوت كيف  
تضي هيلين حياتها بدون أن تفعل شيئاً بالرغم من وجود كل هذه الامكانيات  
التادرة. حوّلت هيلين حياتها إلى جحيم هديم وكان في استطاعتها أن تسعد بها  
ثم نظرت إلى كاترين بعينها السوداوين اللتين يمكن فيها الكره وقالت:  
رداً على اعتذارها:

«لماذا تأسفين فأنت لست كذلك.»

كان الشك واضحاً في صوتها، وردت كاترين بسرعة:

«والذي؟»

«ظننت إنها كاترين باستغراب وريبة، فذكر والدها آخر ما فكرت فيه  
عزيرين مما أفقدها ازواجها بريرة ولكنها تذكرت كلمات ستيغان ليلة وصولها  
هنا قال عن هيلين:

«لست تعرف والدك.»

وبمها كان هناك شعور بأن هذه العبارة تخص هيلين شخصياً، وترعى إلى  
معي خاص. هيلين، ولكن لاصلة لما يكثرين على الإطلاق.

وهل أن تشككن من سؤال هيلين عما تقصده رأت نيكولاس مقبلاً  
وأشارت إليه بيدها بحية، ولم تقب هذه الإشارة عن نظر هيلين التي ضحككت  
بصوتة لصيرة وهي ترى شقيق زوجها قادمًا وقالت بصراحة:

«لا تأمل الكثير من وراء نيكولاس، قمصيره مرسوم كمصير لريغوري  
وبصير، ولن يجرؤ أحد على مخالفة مارسه ستيغان تزوجني لريغوري  
وسوف يتزوج نيكولاس ابنة يودوبولوس عندما يحين الوقت المناسب، أما  
ستيغان فمن يثري ماذا أعد لنفسه، إذا اختار أليسا اندرياس فسكون بلا  
ك بلها، إذا لمكوت أنها سوف تحتفظ به.»

قالت ذلك وهي تضحك ضحكة جافة، ولاحظت كاترين أن نيكولاس  
سبح جفتها الأخيرة المريبة ولذلك قطب جبينه، ولم يتأخر هيلين في ذلك،  
وسرعان ما اتحت على يد كاترين بلمتها بينا لهما هيلين تماماً وقالت  
لكاترين:

«جذبتك أخيراً.»

فأبصرت كاترين وارثاكت لقدمه وقالت له:

«أأكن أعرف أنك تبهت عني.»

وكان الفضول قد تمكن من كاترين لكنها كانت تخشى أن تصارحها هيلين  
شي، يخص والدها فيشكل لما بعض الارباك يرغب أنها لم تستطيع أن تجد لذلك  
سبباً.

وبدا نيكولاس وسياً بوجهه الأسمر وعينيه اللامعتين، وقال لها وهو يجر

كتفيه أصلاً ومعتزلاً لأنه لا بد أن يرشح لزيارات أخيه.

دأبنا رسول أخى إليك، وددت أن تخرجني معي في السيارة إلى الجانب الشمالى من الجزيرة لنسبح في البحر ولكن ستيغان يرغب في رؤيتك حالاً في مكتبته «وهل تظنهم دائماً»

لم تقو كاترين على منع نفسها من ترجمة هذا السؤال ولذا رأت في عينيها تذيير الاحتجاج. وقال:

«لن يكسب أحد شيئاً من مخالفة ستيغان. وسوف تزين بنفسك هذا يا كاترين»

قال هذا وهو يأخذ يدها ويضغط عليها بقوة وكأنه يؤنبها. وشعرت بالدمع فوراً وحاولت الاعتذار لضغط على أصابعها مرة أخرى ولكن برقة هذه المرة. ثم اعتبرت له عاصبة وقالت:

«أسف يا نيكولاس»

ولكنها لاحظت أن هيلين تراقبها بشيء من الازدراء. وتساءلت كاترين لماذا تتعبد هيلين الابتعاد عنها وعدم التقرب إليها. وقال نيكولاس وهو يثلم يدها:

«أسامحك. والآن انهي إلى ستيغان قبل أن يظن أنني أهملت تسليم الرسالة. وأودأت كاترين وخفيق قلبها ونظرت إلى نيكولاس وقد بدا القلق في عينيها وسألته:

فهل لديك أي علم عن سبب رغبته في مقابلي»

فهر كتفيه وأبسم لتأثلاً

«إنه لا يصرح لي بأي شيء. ولكن يجب ألا يبدو عليك الخوف وكأنك سوف تواجهين قاضياً يحكم عليك. فهو لا يهمني أو يهتم. لا يهمني إليه بالطمأنينة يا عزيزتي»

وطأنته كاترين بسرعة قائلة:

«أشعر بالفضول فقط»

واسم نيكولاس ظم مرة أخرى وأعطاها ذراعاً فتابعتها ودخلا المنزل معاً. وصاحبت هيلين باتسامة قصيرة من فوق كتفها. كان نيكولاس يضغط يده على ذراعها وأثارت لسانه مشاعرها. كان في استطاعته أن يطيء عقلها إذا أراد ذلك

«من غير شك سوف يتحدث إليك ستيغان في أمور غريبة تختص بالعمل» ولعلت عيناها ثم قال:

«ستيغان وجد لا يدرك صباح الوقت في مثل هذه الأمور»

ثم وعدا برقة قاتلاً:

«سأعطيك إلى أن تخرجني من عندي»

وصاحت كاترين:

«نيكولاس...»

ولكنها غيبت رأيا وذهبت للبحث عن مكتب ستيغان. وضاعت الفرصة للسؤال عن علاقة والدها بهيلين. ربما أمكنها بعد ذلك سؤال نيكولاس عن سر تعاسة هيلين إذا واثقت الفرصة. ولذلك ترتبط هذه التعاسة برأدها.

وكان مكتب ستيغان يقع في الجانب الخلفى من المنزل. فتحت توافده على مناظر الأشجار الخضراء التي تكاد تشغل من في المكتب عن عمله. ومن عنده يبدأ الطريق الذي سلكته كاترين والطفلان يوم ذهبرا لاستكشاف الجزيرة أول مرة وصل الطفلان طريقها. كان منظر أشجار النخيل والليمون والبرتقال من خلال النوافذ المربعة يسلب القلب. وتساءلت كاترين كيف يستطيع أي إنسان العمل في مثل هذه المناظر الخلابة وكان جو الغرفة يوحى بأنها لغرض رجلاً. يتقاعدوا الجلدية الداكنة اللون ومكتبها الخريش. ولكنها لاتعطي أي علامة لوطن هذا الرجل. فقد تكون هذه الغرفة في أي مكان من العالم أما جدرانها فكانت بيضاء وسجادتها حمراء منقوشة برسوم ذهبية روجت كاترين أنها تركية الصنع كمعظم نجف المنزل. وكانت أشعة الشمس تدخل متخللة حجب النوافذ الأخضر. ما عدا ذلك كان يمكن أن تدخل متخللة حجب النوافذ



الأخضر. ما عدا ذلك كان يمكن أن يجد هذه الغرفة في منزل أو مكتب أي رجل أعمال إنكليزي.

وعند دخوله إلى المكتب وجدت ستيفان واقفا بجانب أحد الترافد وظهور إلى الغرفة. يمتد يديه وراء ظهره ويرتدي بظلوياً رمادياً وفيصاً أبيض.

وولفت كاترين في الباب تشعر بهالة حجبها في ذلك الثوب الأبيض القصير الذي يكشف عن امتلاء جسمها الفتي والذي ينساب عليها في رشاقة وحسنها الذي كان بلا كعب وودت لو كانت على علم بهذه المفارقة حتى يمكنها أن ترتدي زيّاً مثالياً لا يظهرها كالنميمة التي تتألبل ناظر عذرتها في مكتبه واستدار ستيفان فجأة وأرتمت على وجهه الأسير ابتسامة خفيفة أساساً تشاطيع وجهه الذي يشبه الصلح. ثم قال لها مشجعاً ومثيراً إلى أحد المقاعد أمام مكتبه مبثورة:

«أجلني يا كاترين».

جلست ثم جلس وأخذ يتفحصها من خلال عينية السوداءين حتى أنها ارتبكت وقطعت الصمت الذي ساد بينهما وقالت بدون أن تفهم:

«نيكولاس أخبرني أنك تريد مقابلتي. لا أعرف لذلك شيئاً سوى أن...»

صوى أن ماذا؟

وهزت رأسها عسائلة:

«ماذا أردت مقابلتي يا سيد ميدوبوليس؟»

وشعرت كاترين بأرتباك لم تشعر به من قبل في حضوره.

«ما هو في نظرك سبب استدعائي لهذا؟»

سألت ذلك وهو عصم على أن يجيبه بنفسها.

وحاولت أن تحتفظ برباطة جأشها وقالت:

«ربما عرفت الغرض أن تجعلني أغامر الجزيرة وأرجع ثانية إلى الكنفرا».

لكنها كانت في قرارة نفسها تقول أن هذا ليس السبب في استدعائها فرد عليها قائلاً:

«أريد من قبل بوضوح أن أعطني من يافوك مغنا كغرد من أفراد عائلتي».

«يا طين أنتي أخيراً رأيي فجأة وبهذا السهولة؟»

«كثيرين كنت فيها وحركت يديها بيأس وقالت:

«أريد شيئاً في الواقع. ليس في إسكاني تخمين السبب الذي طلبتني من

عندك».

«قلت لأنها شعرت بالارتياح عندما عرفت أن السبب ليس طردتها من

المنزل. وعادت تقول:

«لا أريد أي سبب آخر يدعوك إلى رؤيتي».

«عشيت أنه باسم ولكنك لم تجازف وترفع رأسها للتحقق من ذلك.

في الحقيقة طلبتك لأنك لست معك مبررات والدك في شركة ميدوبوليس

الخاصة».

«لأن صوته عادلاً وقيماً وهو يقول ذلك. وسأنته:

«شكرتك للملاحة».

«نظرت إليه كاترين بتعجب ولغزول وذهبت أن يستشيرها في هذا الأمر.

لقد دخل والدها بتعصيب في شركة ميدوبوليس للملاحة عند زواجه من

ماريا فكان من البديهي أن تعود الأسهم التي كان يملكها إلى أبيكس ويول.

ولم تفهم سر استشارته لها عليها بأنه أصبح الآن الوصي على الولدين.

لاحظت ابتسامة فائرة على القم الراسع وهو رأسه وصحبها بدون كلام:

«خط الملاحة لا يخصني وعدي بل تلكه الأسرة كلها يا كاترين».

ونظرت كاترين إليه من بين أهداب الكتيفة. وكانت تشك في أن الأسرة

تشترك في تسيير خط الملاحة لديها كان عده الأسهم التي يملكها أفراد الأسرة

فهي متأكدة أن ستيفان وعده هو الحاكم بأمره له الحق في إصدار كل

القرارات. فقالت بشيء من السخرية:

«ولكنك أنت الحاكم بأمره».

فأطبق لسانه بشدة وكأنه استاء من هذه التبرة الماكرة وقال لها في هدوء:

وأمتلك معظم الأسهم ولذلك يكون لي الحق الأخير لاتخاذ القرارات الهامة. ولكن الشركة تخص العائلة برغم ذلك»

وأطال النظر إليها وأخيراً قال بصوت خفيض:

«تعتقدين أنني جبار متسلط أليس كذلك يا كاترين»

ولم تشعر كاترين بحرج مثلاً شعرت الآن، وسارعت وقالت قلبها وشعرت برجولته. فهاتان اليانان الذاكستان وعقله التي لفتتها الشمس تطل من قميصه الأبيض وكل ما فيه آثار كاترين وجعلها تعتقد أنه أكثر تشجأ ومطلوبة من أخيم نيكولاس. قد يكون جباراً كما طال وقد يكون هذا صحيحاً ولكنه كان رجلاً جذاباً جداً يؤثر وجوده عليها تأثيراً كبيراً وكان هذا هو الأمر الأهم بالنسبة إليها في تلك اللحظة.

وعادت تقول في حمود:

«أأست جباراً حقاً»

وحاولت كاترين هذه المرة ألا تتأثر بقوة شخصيته أو بقوة جاذبيته. وهنئ لفترة طويلة لا يتكلم لكنه هز كتفيه العريشتين بهفوة وبذات شحة من الراج في عييه السوداءين وقال:

«كلمة جبار معناها باليونانية السيد، وأظن أنني سيد هذه الجزيرة على الأقل». وذكرته قائلة:

«ملكك»

وهز رأسه موافقاً وقال:

«نعم ملكك إذا كنت تشاركين أفكار نيكولاس».

ووجدت كاترين في حديثه إشارة وجاذبية أكثر فعلمت أن تستعيد حالتها الطبيعية وتعود إلى الموضوع الذي جاءت لأجله فأسأله:

«لا أنهم لمذا تريد أن تناقش معي موضوع تسيب والذي في الأسهم. إنها لغرض الولدين الآن بالتأكيد وأنت الوصي عليها».

واعتمد ستيفان في جلسته وعال إليها ولم يعد يفضلها عنها سوى مكتبه.

وأمرها رؤية التجاعيد الرقيقة التي تشق من جانبي عينيها والشعيرات البيضاء التي بدأت في صدفيه بين سواد شعره الخالك. ثم قال وهو يظفها بطارئة الثابتة القوية:

«أنا ترك الأسهم كلها لك وليس للولدين يا كاترين»

في مساء

عطرت إليه عدة لحظات وهي لاتصدق ذلك. ففي السنوات الأخيرة كانت آل أحمال والدها في يد حمام عائلة ميديبوليس ومن الطبيعي أن يحرق ستيفان كل شيء عنها. وقد يكون كذلك أحد المغفزين إذا كان مثل هذا الشيء قائماً في اليونان إذ كانت كاترين تجهله كل الجهل حتى في الكثرة. وأسأله ستيفان:

«ألم تعلمي أنه كان ينوي ترك الأسهم لك»

وهزت كاترين رأسها ببطء وقالت بصوت مبحوح وهي لاتتكاد تصدق ما سمعته:

«لم أر والدهي لمدة ثلاث سنوات ونصف قبل أن يموت ولم ترأسل كثيراً أثناءها». أرمأ ستيفان وهو واثق أن مآقائه صحيح وذلك لأن ستيفان وعائلته كانوا يرون جورج غرانجر كثيراً في السنوات الأخيرة من عمره بعكس زوجته وأولاده رؤ ستيفان عليها يقول يبدو محارلاً أن يعبر عن شعوره بالعطف بلا كلام.

«أنا واثق من ذلك»

وتأثرت كاترين بعطفه سواء كان ذلك بكلمات أو بدون كلمات. وقالت بسرعة وهي تواجه الحفيظة لأول مرة:

«لا أعرف حتى مدى ثروة والدي»

والواقع أن كاترين لم تكن تعرف شيئاً عن الثروة التي تركها لم والدها وما يخصها هي بالذات، وخاصة أن الولدين أصبحا تحت رعاية ستيفان الآن. وسادت لحظة صمت وتغلر إليها ستيفان وهو جالس أمام مكتبه ثم قال لها

بسط وهو يتفرس في وجهها.

ولم يكن والدك رجلاً غنياً ولكنه كان في سعة من العيش. يضاف إلى ذلك امتلاكه الأسهم.

وكان واضحاً أنه يحاول أن يقتني كمالاته بعرض. وبدأت كاترين تشكك بعض ذلك لسأته:

«هل لمعاني هذه الأسهم مساهمة في شركة ملاحاة ميدوبوليس؟»

لهزها ستيفان رأسه موافقاً، ولكنها تأكدت من العيوس الذي غطي وجهه بهذا الأمر لا يروق له. ثم قال لها:

«لا أبوك دخل مجلس إدارة الشركة بصفته زوج شقيقتي ماريا. أسأها ماري نفسها فلم تملك أسهماً»

وأخيراً تبينت كاترين السبب الذي من أجله دعاها ستيفان لمقابلته. وطابت نفسها لامكانها التفرغ على ستيفان وإن تضيق هذه الفرصة. وتظنرت إليه من ظل أهدائها الطويلة بعينها الحضراوين اللذين تلمسان كالجوهرة الثمينة. وبدأت على قعها إبتسامة صغيرة ولكن راضية ثم قالت له:

«ماريا كانت امرأة بالطبع. وليس في دنياكم ياسيد ميدوبوليس من النساء من تملك أسهماً»

ورأي في عيني كاترين نظرة انتصار. فهية ستيفان والقى في حركة مريعة ومرة جعلت كاترين تستعمل في جيشها. ومرة أخرى توجه إلى النافذة

ودلف والظهور إلى القردة. وبدأ معقودتان وراء ظهره قائماً كما رآته عند دخولها وشعرت كأنه يتحدّثها بظهوره.

«يسو أنك تأخذين الأمر ببساطة»

قال ذلك من غير أن يدير رأسه نحوها، وكانت طعته باردة جافة وكأنه يحاول أن يكبح غضبه بصعوبة. ومضى يقول:

«وأحاول أن أعالج مسألة أسهم والدك بما يرضي كل الأطراف المعنية. ولكن يبدو أنك تأخذين الأمر كوميثلة لكسب انتصار أشوري مضحك»

ولم تصدق كاترين أنها في موقع يمكنها معه أن تسيطر على رجل مثل ستيفان. ويعطيها شعوراً بالقوة ولو إلى حين. وكان يبدو أنه يرغب في الاستيلاء على هذه الأسهم ويعرف جيداً أنها سوف تنسلك بها ولو أنها لم تشرح له بذلك. وتساءلت ترى ماذا يفعل إذا فسكت بها ولم تفرقه قهراً. وسأته وهي تتظاهر بالخضوع له وينم صرتها على الامتثال:

«سألتك عن هذا وأنت لم تتصرح لي بعد بقرراتك»

تاستدار إليها وظل ينظر إليها بشبات لحظة طويلة. وتقدم ليقف أمامها مباشرة. ولكنها خففت عينيها وحاولت أن تخفف من سرعة تنفسها الذي راح يهتق لقربه منها.

وسأها بهدوء:

«وهل أنت مهتمة علناً بمعرفة مقترحاتي؟»

فهرت رأسها موافقة وقالت:

«طبعاً ياسيد ميدوبوليس»

«إنك تتأخرني باسمي كاملاً فهل تستعملين هذه الطريقة الرسمية مع إخوتي كذلك؟»

وكان خروج ستيفان عن موضوع انقائضه قجياً قد أدهش كاترين. وجعلها تعجب من اهتمامه بهذا الأمر الثالث خصوصاً في ذلك الوقت. وأفركت فبدأت أنه يعترض على أنها تخاطبه باسمه الكامل ولقيه. وأخيراً قالت:

«لا أجري كيف أنت ذك»

«أعرفون اسمي»

وهزت رأسها موافقة وخففت عينيها ووسوس شيطانها أن تداعيه كما تداعيه من قبل عندما أظهرت رغبتها في تعلم ركوب الخيل ولم تقاوم رغبته ففالت:

«نيكولاس والآخرين يسمونك ستيفان والطللان يدعواك بخالي ستيفان»

ولست أدري لأي قريب منهم أنتصي»

كان صوتها رقيقاً. وهي تنظر إليه بعينها الحضراوين. فتمتم ستيفان



باليونانية كلاماً لابد أن يكون نولاً خامساً. وغضبت كاترين نظرها عن  
أخرى، وخلق لديها ياخوف لجأة. وبدلاً من صمتها كما كانت كاترين تنوي  
أخلق يشبه القريحين بشدة. فتكورت وأراح يغالب بصعوبة الغضب الذي اختار  
ثم رد عليها بقسوة وبرود جعلها تشعر برعشة في ظهرها وأطرافها:  
«لكنك أن تختاري عاتريدين، ولكن بما أنك تتصرفين كالأطفال المألوفين في  
تأديتي ياخالي مثل أخويك»

قال ذلك بصوت بارد أجس. ولكن كاترين لم يكن في نيتها إظهاراً أن  
تفعل ذلك. رفضت هذا الاقتراح ونظرت إليه بسرعة وجمت بالكلام ولكن نظرها  
الغاسية أسكنتها. لشعرت بضائتها وجلست وقد وضعت يديها في حشيتها وأخيراً  
قالت متلعبة:

«إني - إني أسفة»

وودت كاترين لو تدخل أحد وأزاح ذلك القصيص الرقيق الذي خيم عليها  
وساد الغرفة ولكن يبدو أن ستيفان لم يكن في نيته عمل شيء سوى الوقوف  
أمامها صامتاً. ولذلك اضطرت أن تكون هي البادرة بالكلام.

بدأت يده الآن أقل نوراً. واسترخت أصابعه الطويلة لكنها بدت وكأنها  
ستعتمد وتصلع كاترين في أي لحظة. ولاحظت أيضاً أن التوتر خف من جسمه  
الطويل النحيل. فتسجعت ونظرت إلى وجهه الذي لا يزال قليلاً برغم أن فمه بقي  
صلياً صارماً تحت ذلك الأنف التركي المتقوس. وأخيراً جازفت وقالت:

«أسفة يا سيد ميدوبوليس»

«ستيفان»

«ياستيفان»

رفضت كاترين اسمه بطاعة فأرأت نفسها الصارمة ثلثين قليلاً وامتمدت يدها  
ولامست أصابعه عطفها بركة. ثم قبضت بشدة على خضعة من شعرها الأحمر  
التحاشي مما أثار الخوف في نفسها وقال:

«أظن أن هذا الشعر الزهاج يجعلك متعرة تصعب السيطرة عليك»

قال هذا هامساً وبصوت عقيق جعل قلبها يخفق بين ضلوعها حتى خيل إليها  
أن سمعه ولكنها قالت بصوت ناعم كانت لا تعرف أنه سمعها:

«أعزذ أن يستظر علي أحد لأعيا طريقة عقيمة لا تفيد في كسب ثقة الناس كما  
تريد»

«هل تعلمين طرق السلوك في الحياة وكسب ثقة الناس»

وضغط بإبهامه على شفتيها ثم على عنقها مازاً بخدعها. ثم امتداد وجلس على  
«بعد مكتبته وقال بهود وكأنه يحدث نفسه سوف تعلمين. وبعد لحظة صمت  
استطرد قائلاً بهود:

«الآن هل تناقش مسألة الأسهم الخاصة بك»

«نعم بكل تأكيد»

سبب هذا الانتقال المفاجيء إلى العمل الجاد لكاترين شيئاً من خيبة الأمل.  
لأنهم من أن مناقشة مسألة الأسهم كان السبب الرئيسي في دعوته لما بالحضور  
ولا بد من الانتهاء منه عاجلاً أم آجلاً.

انكأ ستيفان ونظر إليها بعينين حترستين. وأخيراً قال في صوت يشم  
بالحرود والوالعية:

«أرغب في شراء هذه الأسهم منك»

لكرت كاترين ملياً وأصبح واضحاً بالطبع أنه دعاها إلى البقاء في الجزيرة  
لهذا السبب أساساً. ولم تصدق إغرائه بوجدتها في الحياة بل كل ما كان يشغله في  
سألة أنها تلك أسهياً في شركة الملاحة الخاصة بهم. وهو يريد السيطرة على  
هذه الأسهم.

من يدري لعله كان ينتظر أن تشكره كاترين أنه اعتبرها عضواً في  
عائلته. وتسلمه الأسهم مقابل ذلك بدون تفكير ولا اعتراض. وساءها في كل  
ذلك خيبة الأمل المريرة التي شعرت بها. ومن هنا قررت التمسك أكثر بالأسهم.  
لأن تسليمها إلى أي مخلوق حتى ولو كان ميدوبوليس نفسه وودت عليه فائقة  
ولا أريد بيع الأسهم»

فأثت ذلك بهدوء وسرعة ما رأته وجهه يكسره الغضب وقطب حاجبيه ثم  
أضاف

«فلما إنك لاتفهين المسائل المالية، ويجانب ذلك أنت لست عضواً في عائلته  
ميدبوليس».

قال شقيقان ذلك بصوت صارح بارده وتساوالت ما إذا كانت قد تولت أكثر  
ما يجب فودت عليه قائلة:

«ولم يكن والذي عضواً في العائلة أيضاً».

وللمرة الثانية هباً واقفاً بجانبها. واقتررب منها فجأة، وكان مجرد حضوره سوف  
يؤثر عليها ويجعلها تغرب من رأيها. وقال لها مذكراً إياها:

«كان والدك يعتبر واحداً منا بزواجه من شقيقتي».

فأجابته.

«وكان رجلاً طبعاً».

وشعرت أن مقاومتها لجرومه عليها كادت تنهار.

فغضب وأظهر غضبه بتلك الكلمات اليونانية التي أطلقها، ولأبد أنها كانت  
تدبر عندها. واقتررب منها أكثر فشعرت بقوته وشخصيته تنساب إليها مما جعلها  
ترجف وقال لها:

«إنك عنيدة، ولكن سوف تأسفين إذا تماديت في هذا العناد يا كاترين وسوف  
ترين، أنا أعفك بذلك».

كانت كلماته قصيرة عنيفة وودت كاترين لو أمسكتها التريام من مقلعها،  
لكن قربة لها لم يمكنها من ذلك. فلبت جالسة وشعرت بمعجزها وضأتها أمام  
غضبه وجبروته وهو يقف بقمته الطويلة إلى جوارها وجازفت قائلة:

«ليس لك الحق في تهديتي...»

ولم تكمل حديثها إذ امتدت يده تحت ذقنها فجأة وأجبرتها على النظر إليه  
ليقول لها بركة:

«لحق في عمل كل شيء أريد هذا، فهذه هي ملكتي. ألا تذكرين»

أعترى كاترين الخوف عندما تقلصت ثلثته وهبطت يدها على ذقنها بشدة

«هي أمانير الجزيرة».

وقال بركة:

«ربن أخويك تحت رحمتي لا أشك فاعلة هذا يا كاترين».

ورأت كاترين أمانير الطريق مسدوداً، لكنها لم تكن تريد الخضوع له

«عنادها وتسلطها بحقها، وكانت تحس بشعور غامض أنها إذا خضعت له  
ربن يشعر بطيبة أمل فيها».

لما أفضلت البقاء معها هنا ولكن إذا طلبت مني أن أبقى معها لجدة لإرغامي

في التخلي عن تلك الأسهم فإنك تكون غفلة يا شقيقان».

كانت في العينين السوداوين نظرة عنيفة براءة ولكنها لمحت ابتسامة على لحنه

الواسع لم تستطع فهم مقراها وقال لها في هدوء:

«هل تعتقدين ذلك».

وأشاحت كاترين برجها بسرعة وأعترفت قائلة:

«لست أدري».

«إنك تقلليني إذا اعتقدت ذلك».

ورفعت عينيها ثانية وبدأت لديها نظرة رقيقة وهي تلبس حافله شاكرة بل

أعترفت بالصوت الهادئ. نفسه وقالت:

«سيف إذا كنت أخطأت في الحكم عليك، ولكن لن يفزع هذا من الأمر شيئاً  
يا شقيقان. لن أبيع لك الأسهم».

وكان قلبها يغرب بشدة للرجة أنها كانت تسمح دقاته بوضوح ونشيت أن  
يسمعها هو أيضاً.

ولم ذقنها بعد ذلك لكن أصابعه لامست خديها في رلق كما كان يفعل  
نيكولاس. ورأت في عينيها بريلاً عبقلاً لم تر مثله من قبل وقال بتعجبه:

«حسناً، سوف نرى».





يشري أسهمها كما كان يريد. سألت نيكولاس:

«ألم تشري أن ستيفان كان يتوقع منك أن تدعيه بصفة الأسهم التي تملكها؟»

كان نيكولاس متصدداً في تراخ تحت شمس الشاطئ. وكان لا يجب إثارة ذلك الموضوع مطلقاً. وكان واضحاً أنه يعتبرها غططة أو متفائلة أكثر مما يجب. على الأقل إذا توقعت أن يتصرف أخوه بأي طريقة غير التي اتبعها معها. ولم يكن في علم بوجود هذه الأسهم إلى أن أخبرني ستيفان بذلك. ولم أفهم سبب ترك والدي هذه الأسهم باسمي، لكنني لم أترفع من ستيفان أن يطلب شراءها.

كان يبدو على كاترين أنها غير مرتاحة لموافقته الواضحة على اقتراح ستيفان باسترداد الأسهم. ونظرت إليه في غتاب وقالت:

«كم كنت اقني أن يهني أحد لما يعود في خلد ستيفان قبل أن أقابله في مكتبه».

وضحك نيكولاس. جهده ومدّ يده ولمس ذراعها مداعباً وقال:

«إذا كنت تقصدينني يا جيلني فلم أكن أعرف سبب استدعاء ستيفان لك. قلت لك ذلك في حينه وحتى لو عرفت...»

وهز كتفيه فلهفت كاترين أن هذا ما كانت تتظن من عدم الاهتمام بأمرها. فلم يكن ليخطر على بال نيكولاس أن هناك أي شيء غير معلول بالنسبة إلى رغبة ستيفان في ضم أسهمها إلى أسهم العائلة، قبالرغم من لطفه واستعداده لعمل كل ما في وسعه لاستعادتها لكنه يتفق مع ستيفان في رأيه وسلوكه نحو الجنس الآخر. ولا شك أنه كان يعتقد أن تمسكها بالأسهم ليس فقط غير منطقي بل غير لائق أيضاً. لكنه لم يكن ميّقتب كما غضب أخوه. وكان عليها أن تعرف تماماً أنه لن يقدم إليها مساعدة، لكنها كانت في حاجة إلى شخص تثق فيه لنسج له بأسرارها. وبما أنها كانت تقضي مع نيكولاس معظم وقتها اعتبرته جديراً بذلك. وسألت:

«ألم تعرفي أن والدك يملك أسهماً في شركة ملاحة ميدربوريس؟» وأرمأت كاترين وقالت:

«هل نأكيد لكن بما أن الولدين هما ولدا ماريا، كنت أنتظر أن يرثا الأسهم بذلك فوجئت عندما علمت من ستيفان أن والدي ترك الأسهم له. فنفذه نيكولاس عجباً وقد بدا في عينيه السوداوين أنه سعيد بولف أخيه المرح لم قال:

«ولا شك أن ستيفان قوحي». أكثر عندما أخبره المعاصم بذلك، فمركزه كروسي في الطفلين كان يحكيه من وضع يده على الأسهم بطريقة آلية. وأدارت كاترين رأسها ونظرت إليه برهة وهي تقلب الأمر في ذهنها ثم قالت:

«هل كان ذلك سبب غضبه عندما رفضت بيع الأسهم له؟ وهل هو في حاجة إلى استلاك مزيد من الأسهم؟»

فهز نيكولاس رأسه بالتفوي وضحك ضحكة مسرعة ورد قائلاً:

«لا، لا، لا. إنه صاحب النصيب الأكبر من الأسهم فهو في غير حاجة إلى المزيد. ولا يريد مساعدة الآخرين. لا يا جيلني ما أغضب ستيفان هو أنه اضطر إلى التعامل مع أيتها الكثرة النارية الصغيرة الحلوّة. وضحك مرة أخرى وتقطى مثل قط ماطر خفيف.

«وددت لو رأيت وجهه عندما رفضت طلبه. فالتساء لا يرفضن لأخي البكر شيئاً بل يجنون رؤوسهن طاعة ويعترفن بأنه على حق دائماً». ولكنني لست منهن».

قالت كاترين: هذا وقد وقعت ذقتها وأمر وجهها وهي تتخيل مدى غضب ستيفان عندما رفضت طلبه. ثم أردفت تقول بحسم:

«انا جافة فيما أقول يا نيكولاس هذا أمر لا يستهان به ولا يثير الضحكة». ونظرت كاترين إلى الجسم البرونزي التمدد بجانيها على الرمال. وكانت حينها نيكولاس مغمضتين وبداً معلودتين وراء رأسه الأسود ويرتدي سروالاً لصبغاً أبيض اللون.

كان الشاطئ مكاناً مثالياً للسباحة. ببعد عنه أميال عن المنزل. ويقع في طرف الجزيرة. ومن يستلقي هناك ينصوّر أنه وحده على الجزيرة. وعلى شاطئها

الرمال الناعم الذي يحيط به الأعراس وأنواع الأشجار المختلفة التي تغطي  
أرض الجزيرة.

وكانت مياه البحر زرقاء والنسيم يسلط حرارة الشمس ويجعلها  
محبلة. والواقع أن كاترين كانت حذاء بناتشة أمور مثل بيع الأسهم وخلافه  
مع ستيغان في ذلك المكان الهادئ الجليل الذي يوجد فيه كل ما يمكن أن  
تتمتع به. كما يوجد فيه نيكولاس لتستمتع معه. كان بالتأكيد واحداً من أول  
الشبان الذين عرفتهم في حياتها جاذبية وذكراً، وكانت وافدة قائماً أنه لن يمر  
طويل قبل أن تتصور أنها غارقة في حبه معها أوهي إنها عظمها بأن هذا شيء  
أبعد ما يكون عن الحكمة.

وكان نيكولاس كان بقاء أفكارها فتح عليه وانهم لها ومدة يده وجذب  
إليه بيتاً راحت عينه الباكيتان تداعبها لعبوسها وجديتها وقال لها هانساً  
«لا تكوني جادة عابسة، لماذا لا تيسمين لي يا جميلتي؟»  
فنهزته كاترين قائلة:

« نيكولاس »

وعضت على شفتيها، فشد أطرافها عيلين أن نيكولاس ينتظر أن يتزوج  
قبلة من عائلة بيدويولوس. عندما يحين الوقت المناسب وكاترين لا تشعر  
بالأرشاح عندما يغازلها نيكولاس. وكانت تذكر جيداً أن نيكولاس لا  
يتورع عن اللهو والعبث وخيالة خطيبته. وكان عليها أن تذكر أن هذا الزواج  
ترتب بهرقة ستيغان الذي يكره أن تشمل مشاريعه وخصوصاً إذا تسبب أي  
غريب في ذلك.

ثم شعرت بيده تلمس قمها بخفة لتسكتها عن الاحتجاج بيتاً أميكت يده  
الأخرى بها وجذبها إليه. وكانت يده قوية لا تقاوم وعيناه تصف مغلفتين  
تنظران بليق إلى جسها المتسق في رداء البحر الشاكن.

وقال هانساً وهو يجذبها بشدة حتى قربت منه وشعرت بأنفسه:

«إنك جميلة جداً. وليس لك أن تكوني جادة.»

فودت عليه تقول:

«هل لا بد أن أكون جادة يا نيكولاس في هذه الموضع.»

«نعم.»

«لست تفعل.» كان نيكولاس تأثير عليها، ولكنها تذكرت تلك الفتاة  
التي لم توضع يديها على صدره لتدفعه بعيداً عنها وتقاوم جذبه لها ولكنها  
تسبح في صوت رقيق:

«يا نيكولاس، انسى الأسهم وانسى ستيغان يا جميلتي.»

«لست أعرفها بخفة.» وقال:

«أعني... أريزك.»

«نيكولاس.»

فاستمع يسمع كلمات يونانية جعلت كاترين تعجب تأثراً ثم اغترب وكان  
قد ختم وقع كلماته اليونانية عليها.

«كانت كاترين أول من رأى ظلاً يقع عليها ويجعل بين جسميها وبين  
الشمس الشمس اللامعة، فعملت تراء مصاحب هذا الظل حتى قبل أن تليق وتفتح  
عينيها فتراه أو تسمع صوته الباردة المعروف بمخاطب نيكولاس بلهجة جافة:

«هناك صيوف يا نيكولاس.»

أرنيك نيكولاس لظهور أخيه فجأة، لكنه حاول إخفاء ذلك بشجاعة  
ليجعله يساعد في مثل هذه المواقف. استدار وتلقى إلى ستيغان من خلال  
عينين مثقلتين بالسرور وتظاهر بعدم المبالاة وقال:

«نعم.» ومن:

«فرد عليه ستيغان بانتصاب قائلاً:

«ليرن بيدويولوس وأنيما.»

«أوه...»

استمع نيكولاس وقام وهو يساعد كاترين على القيام ويزيل الرمل  
من جسمه ثم أضاف قائلاً:

«الطرويس مني في تلك الحالة أن أستقبلها وأرحب بها.»

فرد عليه ستيغان بسرعة وقال:

«بالطبع.»

ثم قال مشيراً لوجودها معاً:

وأحسنت بالمجيء إليك بنفسى ولم أرسل لك «عترى».

لكن نيكولاس لم يحاحل الإشارة وأبسم لكاترين وهو يستغل على زانه قائلاً:

«أعمرى وارتنى ملايك يا كاترين. لنذهب إلى المنزل. أنا آسف لأننى أقصدت عليك يوماً هذا يا جميلتى».

رد عليه ستيفان قائلاً بالصوت البارد نفسه الذي يعبر عن الاستياء: «ويل تذهب وحدك فيها لا يعرفان أنك مع كاترين وأنا حريص ألا يعرفا ذلك. جئت بنفسى لأبلاغك بوجودها. ارتد ملايك وأذهب وحدك لمقابلته إلى بيدوبولوس وسأخضر كاترين بالسيارة بعد دقائق».

حاول نيكولاس أن يحتج لكنه عندما رأى المريق الضرب في غيبي أخيه غير رأييه ولم يعترض على شيء بل هز كتفيه في استسلام وارتنى ملايك، ولم يستغرق ارتداد الملايك فترة طويلة، ولم تتحرك كاترين لكنها ولقت بحرا ستيفان وراحت تزيل الرمل عن جسمها وتحاول أن تخفي رغبة بدنيا وأدهشها هذا السلوك المستبد لكنها لم تشعر بالغضب بقدر ما أحسّت بالسعادة لأحمراره على مراقبتها.

وارتنى نيكولاس قيصاً وينطقوناً أبيض اللون وبس هذا، ومسطح شعر، بيذه واستدار قائلاً:

«سأراك ثانية يا جميلتى»

وبدا في عيشه أنه يضحى بسيطرة أخيه عليه.

ورد ستيفان عاصماً ليل أن ترد عليه كاترين حتى باليسامة:

«بل تستطيف خطيتك وأياها. وسوف أعمل على أن تعود كاترين إلى المنزل بخير».

وكانت عيناه السوداوان تقيسانها، وتنظرون إلى قوامها الرشيق وهي ترتدي ملايك البيض لم قال:

«وسوف أعمل كذلك على ألا تشعر كاترين بالملل بعد أن ألهم صحتك». ولم يرد نيكولاس على أخيه بل وضع نظارتيه واستدار وذهب إلى حيث وقفت سيارته. ثم ركب نيكولاس السيارة ولقدها بسرعة فائقة أو هكذا

حدثت كاترين بالرغم من تعرج الطريق وضيقه. وكان واضحاً أنه بالرغم من نفسه وثيقه يطبع ستيفان طاعة عمياء. ومرة أخرى دهشت كاترين من الاستعداد الفلم الذي يطبقه ستيفان على أمرته.

وبعدما غابت سيارة نيكولاس خلف أول منحى في الطريق. نظرت إليه كاترين بعينين برأتين تلاحها التحدي لتثبت أن سلطانها وجبروته لا يبرهان بها كان رأسها يرتفع عالياً وهي تنظر إلى ستيفان وتفرس في تسامحه المرء القاسية. ومرت لحظة ينون أن تتكلم ثم اتعنت والتفتفت حسداً وارتنه

عسى العودة سراً على الأقدام وحدي فلا تهتم بانتظارى. أشكره.

«أنى الرد»

لم تفعل هذا.

كان صوته هادئاً بارداً ولكنه كان مسيطراً أمراً. وولعت كاترين ذنبها فالتك بلهجة حاسمة واضحة:

«لست خائفة منك مثل نيكولاس يا ستيفان ولنى أفضل ما تأمرنى به وسأعود إلى المنزل سراً على الأقدام وحدي».

كانت القوة والسياسة في هاتين الكلمتين العريشتين. وبدأت صلابته جسمه باعانة في قوتها حتى شعرت كاترين برجفة خوف عندما واجهت الغضب المنهوج في عينيه السوداوين. وقال لها بحزم:

«لست متعودين في السيارة معي. كان في وسعى أن أرسل أحد الخدم للعشر عليك أنت ونيكولاس. ولكنى لا أريد إطلاق الخدم على أسرارنا، لم أتعود أن أجرب الجزيرة لأعشر على المكان الذي أخفك نيكولاس إليه. فعندما وصل بيدوبولوس وأبنته نجاة استقبلها غريغوري بينا جئت للبحث عن نيكولاس وقال غريغوري لها إن نيكولاس يسبح وحده بينا تنزهين أنت معي في السيارة».

وبدا كل شيء واضحاً أمام كاترين الآن. وتأكدت أن ستيفان لا يريد لنيل مشروع زواج نيكولاس وقد بلغ ما في وسعه ليعتج أنثى من اكتشاف وجود خطيبها مع امرأة أخرى.



ولم تكن الشهادة وحدها التي جعلته يصر على مراقبتها إلى المنزل، بل كان  
يود أن يؤكد قصته لأل بيديمبوليس، وثبتت كاترين لائحة  
«لهمت».

ورد ستيفاني بيروت

«لا أعتقد أنك فهمت على الإطلاق. أينما بيديمبوليس فتاة غريبة وليس لها  
جوالك بالأكويك، لكنها مغرمة جداً بييكولا. ولذلك لم أبدأ أن أتركها تفعل  
عندما نراه راجعاً مع فتاة مثلك».

«عيني أنا»

قالت كاترين بجدة فقد ظننها إهانة مستقرة لها ولكن الدخلة بدت على  
وجه ستيفان لسؤالها هذا، ورفع حاجبيه الداكين وقال بهفه:

«إذا كنت فتاة أقل جمالاً، هل كنت تحين رؤية خطيبك بصحبة فتاة جميلة لها  
شعر أحمر»

ومن العجيب أن هذه المجاملة برغم أنه قدمها في بيروت وهنود لكنها أنارت  
كاترين، وأخذ قلبها يثقل أسرع من المعتاد ويتنفسا بمرع في عروقها، وبها  
وقفت بجواربه هناك على الرمل الأبيض. ثم تلفتت تبحث عن ملابسها وقالت  
وهي تكاد تلهث تأثراً  
«يجب أن أرتدي ملابس».

ولكنه قال:

«لا داعي للعجلة فالوقت أمامنا واسع».

ومرة أخرى سمعت قلبها يثقل بسرعة عندما سمعته يقول «أماناه بلا كلفة».

ف نظرت إليه وانفضول في عينيها والحيرة تكسو وجهها، وعندما واجهت الودج  
العقيق من هاتين العينين السوداوين قالت متسائلة:

«إنك تريد أن تحكم اللعبة إلى آخر أيامها ويكمل تلامسها، فانفروسي أن أكون  
معك ولذلك يجب أن أرجع إلى المنزل معك».

«هذا يبدو شيئاً مغلوفاً في رأيي».

نهزت كاترين رأسها وكان الفضول لا يزال واضحاً في عينيها. وقالت:

«ولا تتعب أبداً من التدخل في حياة الغير وإدارة شؤونهم بدلاً منهم».

والعجيب لم يقد ستيفان أعصابه كما توقعت بل ضم شفتيه قليلاً ورفع  
حاجبيه متسائلاً:

«هل هذا ما تعتقدين؟»

ف نظرت إليه كاترين برهة ثم قالت:

«أعرف جيداً أنك تفعل ذلك».

والعجب بهنود فتلاً:

«للي مسؤوليات معينة ويجب أن أبت في القرارات التي أراها مناسبة لعائلتي».

«عني القرارات الخاصة بالزواج ومن يجب أن يزوجوا.. سواء وافقوا أو لم  
يرافقوا».

وردت كاترين لم تقطع لسانها ولم تله بتلك العبارات فقد طفق الغضب  
على وجهه واكتمرت فسياته. رأت كاترين ستيفان غاضباً من قبل عندما  
رفضت بيع أسنمها له في شركة بيديمبوليس لكنها الآن وهي تنتقد سلوكه  
مع عائلته شعرت أنها تجاوزت كل حدود اللياقة. فوقف صامتاً لا يتحرك لمدة  
طويلة، ففتت كاترين فيها أن تغرب عن وجهه، لكنها كانت لا تزال بلباس  
البهر ثم أين المفراً فالجزيرة كلها ملوكة وهي ملوكة وأخيراً أدركت معنى كلمات  
هيلين عندما اشارت إلى أن الجزيرة قضيلاً خفية تطبق على من فيها وتجعلها  
سجناً.

توهجت عينا الداكنتان البراققتان وكأنهما قطعتان من العقيق التمشين وهما  
تحدقان ليه... كان فمه مستقيماً مزموماً يبدو عليه القسرة، كما تبدو في اليدين  
الكبيرتين اللتين تكورتا في قبضتين قويين وتركها إلى جانبيه. وقال في صوت  
صالح بارد:

«احذري الله أنك لست من أفراد عائلتي. فتدخلك في الأمور التي لا تعنيك أمر  
لا يغفر ولن أحصله. ومع ذلك...»

وهز كتفيه العريشتين ثم أزدل فتلاً:

«وإن أنك لست من عشيرتنا ولا تفهمين أسلوبنا في الحياة فيجب أن أغفر لك بعض  
أخطائك، ولن أفعل شيئاً هذه المرة».

وشعرت كاترين بأرجاف أطرافها وجسمها كله وهي تراجع، وتساءلت هل

يمكن أن يكون هذا الشاهد حقيقياً ثم أنها لحلم. ولكن هذا المارد البكريه المرافقة  
أمامها حقيقي وغشبه حقيقي. وشعرت فجأة ألا حول لها ولا قوة رغم تصيدها  
أن تبقى خارج سيطرته «  
وبدأت تقول:  
«لن تلعب...»

لكنه انحنى والنظف ثوبها الأخضر وقدمه إليها قائلاً:  
«ارتدي ملابسك».

وبعد بركة تردد تناولت الثوب فلم يكن في وسعها إلا طاعته. فارتدت ثوبها.  
لكنها لم تتسكن من قلقه إذ كانت فتحة من الخلف ولم يكن في وسعها  
الوصول إليها. ولم يكن في نيتها اللجوء إليه ليلامعها فقد شعرت بشيء شديد  
من طريقة معاملته.

ولم تستعمل كاترين صباغاً لوجهها ولم تهتم بتسليط شعرها. ثم استدارت  
وسارت نحو الطريق المنحصر.

وسمعه يناديها فالتفتت إليه وكان تعبير وجهها بارداً لا يشير بالود.  
«كاترين، أظن أنك لا تقصدين الرجوع إلى المنزل هكذا».  
وأشار إلى الثوب فهزت كاترين كتفها وهي تعتمد عدم الاكتراث وقالت:  
«لا حيلة في ذلك فليس في وسعي المبالاة».  
وسألت:

«وماذا كنت ستفعلن لو كان نيكولاس معك؟»

وشعرت كاترين أن الدم صعد إلى وجهها ونظرت إلى الجهة الأخرى.  
ويدون أن يتطرق كلمة أخرى أدار ستيفان كاترين فارتجفت وتلاذت  
خفقات قلبها وهو يقفل ثوبها. كان قلبها يخفق بشدة عندما شعرت بأصابعه.  
وسألت نفسها هل سهارت ترجع إلى قرصه في هذه الأتوار وهو في لم يخطر في  
بالها أبداً ولكنها أبدت هذا المخاطر من ذهنها بسرعة لأنها شعرت أنه سيب لها  
قللاً لا يمر له. نحن المحتمل أن يكون تصرف ستيفان كنتصرف أي رجل  
آخر في موقفه. خاصة أنها سمعت قصصاً كثيرة لا تصدق عن مقامرات الرجال  
في الجزر اليونانية. فالتفكير فيه بهذه الصورة كان يثير قلقها. وودت لو فكرت

«ستيفان كمجره وحشي على الطفلين ومضيفها».  
وسمعا رجع ستيفان شعرها عن عنقها كي يكسل الفأل القوب لامتست  
أصابعه بجلدها الناعم بركة مما جعلها ترتجف وتعطش شفتها بشدة.  
ثم قالت له في صوت يلم على مدى تأثرها به وشعورها بقربه:  
«شكراً لك».

ولكنه نقل حساساً فقرة وبدأ على كتفها وظلت ترتجف وتنتطح إلى ما سرف  
صوت وشعرت بيديه على كتفها ودفء. كفيه وقوتها وهذا تفللسان في قبضة  
أرجلها لها ولم تؤلفها. ثم قال لها بركة:  
«لن تقول ذلك كنت مع نيكولاس».

ولم يكن قوله هذا سهواً بقدر ما كان أمراً وكان صوته نقيشاً ومقتضاً  
كصوت نيكولاس ولكنها استجابت له بصورة أقوى وأعمق.  
وشعرت كاترين بشعف وغشبه رالية عارمة بأن تغض عينها وتستند  
إليه. ثم قالت له:  
«ن...»

لم تكن تعرف ما تقول وقد منعنها يناء القويضان من القيام بأي حركة. كانت  
أصابعه لا تظاهر بالبرقة الآن عندما يهبط بشدة على كتفها ولال بصوت  
«لن يمتدح».

«لا تتصمسي في غشبي يا كاترين مرّة أخرى وأطيعي أوامري من فضلك».  
وعندما لم ترد أدارها يده لإفراجه. وبدون أن تشعر استندت كاترين إليه  
وألفت شعرها الأحمر إلى الخلف لكنكشت عن عنقها العاجي الناعم وقطعت عيناه  
لحظة ثم أحس رأسه وعانقها قائلاً:  
«كاترين...»

«وكان صوته نقيشاً وقبضت أصابعه على فراعها بشدة وهو يجذبها إليه».  
وشعرت بتوتر عضلاته كأنه يحاول المقاومة. ثم لقت فراعها حول عنقه  
وأغشقت عينها. وضما إليه ولكن سرعان ما أطلقها فجأة وراح ينظر إليها  
بنظرات يرافقة مما جعلها ترتجف. ثم تساءلت قائلة:  
«ستيفان!»

ولفت لحظة أنه سيركها ويغادر المكان عندما أدار لها ظهره، ولكنه تقدم بضع خطوات ثم استدار ثانية وراح ينظر إليها في ثبات إلى أن غضت نظرها. ثم قال لها بنبرة «أمسك».

وطرقت عينا كاترين لأنها لم تتوَلع ذلك وقالت بسرعة: «هولاً تأمل!»

أدهشها هذا الاعتذار، فلم تكن تتوقعه. كان أمر شيء. ثم أن سمعته منه، ثم قال بصوت هائل: «بارد البرات»  
«يجيب عليّ أن أعترف فلم يكن من الصواب أن أنتهز القرض هكذا»  
«ولكنك لم تفعل ذلك».

هكذا باتت كاترين بسرعة وتهوّر، وتطرد إلى وجهه الأسمر المتهيج ذي القسوة القوية بشيء من التحذير، وشعرت كأنه يعاملها كفتاة صغيرة لم يقرأها أحد من قبل، ولم تكن هذه هي الحقيقة فحياتها لم تغل من المغامرات والقبيلات، لكنها لم تصادف هذه الطريقة المثيرة من قبل. ولذلك قالت: «نيكولاس لا يعترف إذا عاقبني».

قالت ذلك وهي تنظر إليه من خلال أهدابها الكثيفة وتتساءل لماذا تتدلع وتهوّر هكذا؟

فقلب ستيغان حاجبيه ومحوّل يريق عيشه إلى غضب لكنها لم تقصد الاساءة إليه فرد بعدة قائل:

«لا شك أنك تتكلمين من مصمم تجاربك والواقع مغامراتك وأنا أشت نيكولاس ولا أمارس ألعاب الأطفال يا كاترين».

«رجل تعتقد أنني أمارسها».

هناك شيء لا تستطيع مقاومته بدفعها إلى الكلام، وكانت تعرف أنها تنتقم

منه بطريقة صبيانية. وكان يبدو على ستيغان أنه يعلم ذلك أيضاً وقال:

«لا أدري أي نوع من الألعاب هذا وليس من حقي أن أعلم».

قال ذلك برفقة غير متوقعة وعد إحدى يديه وليس خلفه بخلة مؤثرة.

«ولكن يا ستيغان إنني...»

وكانت كاترين تريد أن تغيره أنها لا تعترض وأنه لا حاجة إلى الاعتذار، لكنه لم يكن يستمع إليها بل وضع أصبعه على شفتيها وهو رأسه وقال مرة أخرى: «أمسك».

«اسي الأمر كله يا كاترين، إنك لا تدريين مدى تأثيرك عليّ وبالرغم من رأيك في قواني لا أخذ ما أريده عندما أريد ولا أنتهز القرض أبداً».

وحذوها من يدعا وهو يقول... عينا... سيعود الآن إلى المنزل.



## ٦ = دقائق الامور

«سيدتي»

واضحت إليها باقتضائه، وكانت كاترين عند أحبت هذه السيدة العجوز  
لحقتها ووقتها، لكنها ذهبت عندما وجدتها تنسج إليها بالانتراب وسعدت وفع  
طيرانها على أرضية البحر الكبير عندما استدارت وانجبت تحولاً، حتى بعد  
وهي حبة أسابع قفصها في الجزيرة، كان التهور يوحى بأنه منجف يوناني وكان  
يت في نفسها شعوراً بالرهبة، وتقدمت إلى السيدة العجوز قائلة:

قالت كاترين هذه الكلمة وهي تنظر إلى السيدة متسائلة، فترسخت فيها  
السيدة ميديبوليس وابتمست قائلة:

«هل تسمحين لي أن أخذ من وقتك قليلاً يا كاترينا»

وكانت مدام ميديبوليس كاتبها نيكولاس ينطقان اسمها باللغة  
اليونانية. وتساءلت كاترين إذا كان هذا أسهل لها أم لأنها لا تتكلم الانكليزية  
بطلاقة عكس أولادها، فردت كاترين عليها قائلة:

«بكل تأكيد يا سيدتي»

ودعشت كاترين لكنها ثبتت السيدة إلى غرفة جلوسها الخاصة، التي كان  
دخولها وفقاً على الصغرة من أفراد العائلة كما أخبرها نيكولاس مرة وشعرت  
بالارتباك وحقق قلبها سريعاً بلا سبب واضح.

كانت الغرفة أصغر من أي غرفة رأتها كاترين في المنزل، لها طابع تركي  
صرف، وكانت أرضية الغرفة مغطاة بألحجر السجاد، والمساند مصنوعة من  
الأنثى الفاخرة ورائحة الزهور تملأها ونكهة القهوة التركية تعطيه طابعاً قريباً.  
وتنقل النجيب البيروزي الفخم من السفند، ولم يكن يتسرب إلى الغرفة سوى  
قليل من أشعة الشمس من خلال النوافذ الخشبية المغلقة. وكان الجو ساخناً خانقاً،  
لكنه رائج. وراحت كاترين تنظر إلى محتويات الغرفة بعينين بدافئهما  
الفصول.

«هل راقت لك غرفتي؟»

سألها السيدة ميديبوليس بركة وهي تبسم كأنها تعرف الجواب مقدماً

أخبر نيكولاس كاترين أن زيارات أيتها ميديبوليس ورائدتها المتكررة إلى  
الجزيرة شيء غير عادي وشعرت كاترين بعدم الارتياح وتساءلت إذا كان  
السبب وجودها في المنزل.

وكان ستيغان يبارك هذا الزواج بقلبه وليون ميديبوليس يشعر أن يرى  
ابنته زوجة لأحد أفراد عائلة ميديبوليس الواسعة الثراء. ولذلك حرص الجميع  
على أن يتم هذا الزواج وأن يتلاقوا لمشلة بكل الطرق.

ومن يدري ربما كان سبب تعدد هذه الزيارات اقتراح ستيغان نفسه، الذي  
كان يزد ألا يشي أخوه الأصغر نيكولاس وأجباته حيال خطيبته، وإيذا كان  
المسؤول عن ذلك فإن نيكولاس لم يكن يستشع هذا الأمر إطلاقاً. فمنذ  
فاجأ ستيغان نيكولاس وكاترين على الشاطئ زارت أيتها ورائدتها الجزيرة  
مرتين في مدة تزيد قليلاً على الأسبوع. وهذا ليس كثيراً على شخص يحب  
خطيبته ويسعد لرويتها ولكن نيكولاس لم يكن كذلك.

واشتاقت كاترين إلى صحبة نيكولاس الذي كانت تقضي معه معظم  
وقتها. ومن دونه شعرت بالضياع، خصوصاً أن الولدين أصبحا في رعاية كاميا  
معظم الوقت. ولم تلق كاترين أي تشجيع من هيلين لتكون قريبة منها،  
أما غريغوري فكان يقضي وقته مثل ستيغان طائراً من وإلى الجزيرة مشرفاً  
على مكائهم العديدة.

لمحت كاترين، في طريقها إلى غرفتها بعد الظهر، السيدة ميديبوليس.

قارومات كاترين. وعادت السيدة العجوز تسأله.  
«وهل تشرين القهوة معي؟»

لهزت كاترين رأسها بسرعة ناعية لأنها لم تستيع طعم القهوة التركية أبداً بل ما وادت أن تشعر السيدة ميديبوليس بذلك فالتت بسرعة.  
«لا شكراً ياسيدة ولكنني أجد غرفتك رائعة وأشعر بفخر لدعوتك.»  
ظهر شيخ ابتسامة في عيني السيدة السوداوين وقالت لها.  
«أولادي لا يعتبرون وجودهم فيها فخراً بالانتي. كانوا يأتون إليها ليهالوا حظههم من النايب.»

وكانت الغرفة تحتوي عدداً من المقاعد لكن كاترين حدثت مضيقها لتربعت على المساند المنخفضة ولتت لمعها تحتها وقالت وهي تبتسم:  
«أنتي أأنا أيضاً حلقاً من النايب.»

في الغرفة انعمت اكسي وجه المرأة بشيء من الجدية رغم ابتسامتها العذبة فتسمرت كاترين بالحق والنفط في معدتها كانت تتصور انها اختطفت ووضعت مع «الحريم» ورغم أن هذه الفكرة بدت مضحكة. فودت السيدة ميديبوليس بصوت خفيض ولكنها الأجنبية الثرية:

«رجا لاتتالين غداً بالرغم من أنك فتاة بلهاء يا حقيقتي ألسنت كذلك؟»

فظهرت إليها كاترين بقل لوجودها في الجزيرة منذ أكثر من شهر عليها أن تتقبل كل مايقترعه وما لا تتوقعه. لكنها شعرت في تلك اللحظة بالقلق لجهلها بسبب استدعائها من قبل السيدة ميديبوليس. ثم قالت:

«لا ألهم مايقولن ياسيديتي.»

فظهرت إليها مدام ميديبوليس وكانت نظراتها غداة ثابتة ذكرت لها بنظرات ستيقان. ثم قالت بركة:

«أظن أنك تلهمين كل شيء ياكاترينا.»

وتصارت الأفكار في رأس كاترين. هل هو نيكولاس واعتماده بها؟ هل لاحظت السيدة العجوز ذلك وكان يجب عليها ألا تصعبه أبداً أرادت أن تبرىء

عنها وتؤكد السيدة أنها لاتتوي إبقاعه... فبادرت تقول:

«لما كنت تقصدين نيكولاس ياسيديتي... في وسعي أن...»

فقاطعتها السيدة العجوز وهي تهز رأسها بهدوء قائلة:

«لا أتكلم عن نيكولاس بل عن ستيقان.»

«ستيقان؟»

لم يكن أحد غيرها هي وستيخان يعرف شيئاً عما دار بينها على الشاطئ منذ أسبوع. ومع ذلك فقد أحرز وجه كاترين عندما تذكرت ماحدث يومها. بما جعل السيدة ميديبوليس تدقق النظر فيها وتتعجب لذلك فسألتها قائلة:  
«ميديبوليس بهدوء:

«ألا تعرفين ماذا أعني؟»

قالت كاترين عينيها ولم تقو على النظر إلى السيدة وقالت:

«لا ياسيديتي.»

ومرت لحظة صمت سادت الغرفة الساخنة الخائفة. وقتت كاترين من كل ليها لو أنها تفرغت بأي سبب ولم تقطع المرأة وتحضر معها إلى هذه الجزيرة. لكن مدام ميديبوليس كانت عازمة على معرفة سبب اضطراب كاترين مما جعلهم يضعف إلى وجعها كالتجيلة الصعبة عندما تذكرت هذا. وأخيراً قالت لها بركة:

«الحجل يبدو عليك يا كاترينا وبطلي عليك جاذبية. وأنا لأدري لذلك شيئاً عندما أذكر اسم ولدي أمامك.»

واعتزفت كاترين قائلة:

«ياسيديتي إنك تبالغين في الأمر. لا أشعر بالحجل بل أجد أن جو الغرفة حار جداً هذا كل ما في الأمر.»

«نهيت الآن.»

وراحت بداها تستبان زهور الميموزا في أنية الفخار الكبيرة إلى جانبها.  
ثم اضطربت تقول:

«لا بد أن نيكولاس هو الذي يجذبك بالطبع. أليس كذلك؟»

وقالت كاترين بحس:

«إنني أعجب بنيكولاس ولكنه مرتبط بالأنسة ميدوبوليس فهو خطيبها بالطبع.»

وكررت السيدة العجوز كلمتها الأخيرة وقالت:

«طبعاً وأيضاً قطة لطيفة مع أن نيكولاس لم يفتح بعد هذه الحقيقة.»  
«إذا كان...»

وعضت كاترين شفتها بسرعة. ولم تكمل كلامها فلن يجوز على انشاء أسلوب زواجهم أمام السيدة ميدوبوليس. فهي لابد أن تؤيد ستيقان. وكانها ما بدت عنه عندما انتقدت ذلك الأسلوب. وسألتها السيدة ميدوبوليس برفة وعينها الداكنتان ترققان عندما رأت أن ماخضته صحيح  
«ألا تؤمنين بنفاليذا في الزواج؟ ولكنني أرى أنها الطريقة الأفضل يا كاترينا.»  
راجبت كاترين:

«ربما كانت الطريقة المثل للذين اعتادوها.»

ولمأنتها السيدة العجوز برفة قائلة:

«أنا متأكدة شخصياً أنها تجلب السعادة للجميع.»

ودخلت الزبنة قلب كاترين فجأة لتقلقها. ونظرت إلى السيدة العجوز بخوف وحذر وقالت لها:

«أنتى ألا تحاول ستيقان التدخل في تدبير أمر زواجى أنا أيضاً.»

ومرة أخرى ظهرت في عيني المرأة غفرة فاحصة فأرادت أن تلمسها. لمآلت لها:

«لا أظن أنه سيفعل ذلك رغم أنه قد يؤثر على اختيارك.»

وأجابت كاترين بحس:

«مستحيل...»

ثم نظرت إلى السيدة العجوز بقلق غابست السيدة وأكملت كاترين كلامها:

«أليس هذا ما أردت التحدث معى عنه أليس كذلك السيدة ميدوبوليس؟»  
«ربما خفق قلبها خوفاً وحسنت أن تهرب من الجزيرة بأى طريقة إذا أصر ستيقان على أن يتنار لها زوجها بنفسه.»

«لا بأسقبرنى. هذا ليس ما أردت التحدث معك عنه.»

وسألتها كاترين:

«ألا إذن ياسيديتى؟»

وبدت على سيات المرأة صرامة ذكرتها ستيقان فنظرت إليها بقلق. وكانت سياتها الداكنة التي شبه الصقر تجعلها تشعر بضآلة. وهو الاحساس الذي استاءته وهي مع ستيقان. ثم قالت السيدة بشبهل:

«ألك قشقين بعض الأسهم في شركة ميدوبوليس.»

فلمرت كاترين بالقدم يصعد إلى وجهها وكانت تشعر بالغضب هذه المرة وذلك موافقة.

«عم...»

وباتت في عينيها الحضراوين نظرة لحد لا حظتها السيدة ميدوبوليس على الفور.

«ولا تعزمين بيعها إلى ستيقان؟»

وأقرت كاترين بعناد:

«لن أبيعها.»

وفكرت كاترين أن تدوس على كرامتها وتبيع الأسهم إلى ستيقان. ولكنه سأل والدته المساعدة وحاول السيطرة عليها بطرق ملتوية. لذلك لن تلبث له أو تطارعه.

وعدت المرأة يدجها وأخذت يدي كاترين بيئتها. كانت اليدين صغيرتين خافتين ولكنها برغم ذلك حاسمتان في قبضتها. وقالت لها وجهها الجعد بقسائنه الثركية يقترب من كاترين في محاربة لاقتناعها والتأثير عليها:

«الأسهم لن تفيدك بشيء. فلن يكتك حضور اجتماعات مجلس الإدارة كما كان



يقبل والدك»

وقالت كاترين فجاءها:

«لا أرى ما يعني من ذلك»

لهزت السيدة ميديوليس رأسها وارتمت ابتسامة صغيرة ساخرة على شفيتها وقالت:

«إنك لاتتكتمين اليونانية أو تفهميتها يا صغرتي، فكيف يمكنك متابعة ما يدور في المجلس»

وشغفت بأصابعها النحيلة على يديها في محاولة لانتاعها واستطردت قائلة «والحق يا صغرتي ودعي ستيفان يتناول هذه الأمور بنفسه»

«تقصدين بدلاً مني»

ولم تخطر هذه الفكرة لها من قبل، ووجدت كاترين أنها طريقة مثلى للخروج من هذا المأزق فهي تحفظ كرامتها وكرامة ستيفان في الوقت نفسه وقالت السيدة:

«هل ستوافقين إذا كان هذا هو الحل الوحيد»

وتفكرت كاترين إليها بنيات، وسألت نفسها في دهشة كيف يقبل ستيفان هذا الحل الوسط وسألت السيدة ميديوليس:

«وهل يقبل ستيفان هذا الحل ويوافق على هذه الشروط»

ابتسمت السيدة ميديوليس فبدت على وجهها آلاف التجاعيد، وبرت عينها السوداء وقالت:

«إنها خطيرة على الطريق السوي»

ومرة أخرى جاءت أيتها بيديولوس والديها لتناول العشاء مع الأسرة، ومرة أخرى أتحت لكاترين قرصاً رديئة المائدة التي سولك يتخذها نيكولاس زوجة له والتي اختارها ستيفان له.

كانت أيتها فتاة عادية كما قال ستيفان مع أن كلمة عادية وصف ظالم. لها إذا كانت تضع يلفظ يجعلها محبة إلى النفس. وكانت متوسطة الطول

يبل قوامها إلى الامتلاء، عينها سوداوين جليتين.

كان ستيفان على حق عندما قال إنها تحب نيكولاس بل كانت في الواقع تعشقه وشعرت كاترين بالهتاف عليها لأنها تعرف نيكولاس جيداً. وبلغت لماذا قال ستيفان ذلك اليوم على الشاطئ. انه لا يريد لها أن تعود إلى الشزل مع نيكولاس حتى لاتراها أيتها معاً طينتها القلبي. ولكن إذا تزوجت أيتها نيكولاس فلا بد أن تعرف أنه ينجذب إلى الجنس الآخر. ولن يكون أمامها إلا أن تستسلم لهذه الحقيقة.

وكان من العادة إذا جاء خبير لتناول العشاء أن يتغير نظام جلوسهم حول المائدة فلم تجلس كاترين بجانب نيكولاس كالعشاء لكنها وجدت نفسها جالسة بين غريغوري والسيد بيديولوس. أما نيكولاس فجلس في مواجهة بجانب أيتها الأمر الذي لم يكن يرنج له.

وكان من العادة أيضاً إذا جاءهم ضيوف أن يرتدي الجميع ملابس رسمية لهذا ستيفان يبدله السوداء وقميصه الأبيض قوي البنين لم تزل كاترين متبلاً ولا حتى في نيكولاس نفسه. وكانت ملاسها تغطي عليه مسحة من الرومانسية برشم غطرسته أو ربما بسبب غطرسته. وبدا كعلاق شرطي مهيب فنبأرت كاترين بهيئة كثيراً.

وكان السيد بيديولوس لا يكلمها إلا قليلاً في المرات السابقة عندما تلافيا، وذلك بسبب الشغالة في الحديث الجاد مع ضيفه الذي جاوره على رأس المائدة. ومع ذلك انتهى الى ان نيكولاس أكثر من مرة يحاول للفت نظر كاترين إليه. الأمر الذي اعتبره كاترين مقهوراً. بيضاء كانت هي تعمل كل ما في وسعها لتتصرف بحكمة ولا تشجعه على التحديق بها.

جر غرلة المائدة القديم ازدهار فخامة في وحدة الضيوف، فمقارن المائدة ناصعة البيضاء والأواني الفضية تعكس الضوء والزهرينات فلأها الزهور ذات الرائحة الزكية.

وعنى بعد هذه الأسابيع العديدة التي قضتها كاترين في الجزيرة كانت

وسمعت ليون بيدوبولوس يقول لها فجأة:

«هل تروني لك بلادنا يا أختي الحزينة»

فطلعت بوجه حمدى فيه بسماس قبل أن يجيبه وهي تبسم قائلة:

«لم أر شيء في اليونان تشبهها بعدد ياسيد بيدوبولوس، كل ما هناك أنني هبطت

من الطائرة في نيقوسيا ومن يومها لم أخلو ديموكليس أبداً»

وخيل إليها أن ستيفان لم يبد مرتاحاً إلى قولها هذا وكأنه اعتبره انتقاداً

موجهاً لكرمه وضيافته. أما هيلين فنظرت إليها وكأنها تقول لها: حظرتك سابقة

من القضاة الخفية التي تحيط بالجزيرة وتجعلها سجنًا، لكنها لم تكن تفقد

نوجه أي انتقاد ونظرت إلى ستيفان وتساءلت إذا كانت تستطيع إقناعه

بذلك.

وقال ستيفان بصوته البارد المخلص:

«ولم أدرك أبداً أنك تدوين السر خارج الجزيرة. وإذا أردت الذهاب إلى نيقوسيا

لجهد التغيير والترويح عن النفس فليس هناك ما يمنعك من ذلك»

ابتسمت كاترين له والأمل يلاها، ولعل عيناها الحضران لمهاهما وخلف

غلبها مرة أخرى عندما طالعت نظراته إليها والتفت عيناها. ولم يؤثر على ذلك أي

إحساس يكون قد انشأها بالسخرية من نفسها، ربما كانت مجرد فتاة حفاة...

ولكن تأثير هاتين العينين السوداوين عليها كان يثير ارتياكها، ولم يحظر في بالها

لمحة واحدة أنها شخص حر يستطيع مغادرة الجزيرة في أي وقت. وقالت له:

«أوه... كم أود الذهاب يا ستيفان إذا أمكن ترتيب ذلك»

وبدا نيكولاس يقول:

«ويكفني أن...»

ولم يكمل حديثه بل أسكتته نظرة خاطفة ماهرة من أخيه الذي نال

لكاترين:

«لدي بعض الأوراق محتاج إلى توقيعك، فإذا استطعت الاستعداد للسفر غداً

وقت ذهابي إلى قبرص يمكنك أن تأتي معي وهكذا...»

تدفع أنها في جو خيالي حالم. الطعام خليط من الأكل اليونانية والتركية. في

يكميات والده ولخلته مشبهات مثل الفيتا وهي جبن قريش لها طعم إيل في

المحمصة قليلاً. وعشور ورق العنب والاصوليا وهي مجموعة من الخضروات

أقحشوة بالأرز واللحم. والمسقة والكفتة أو كرات اللحم المتبل التي أجبها

كاترين كثيراً.

وأعجب ذلك كله المخلوط من الطماطم والخبز التركي والفاكهة الطازجة بجميع

أنواعها. أما القهوة التركية القوية فرفضها كاترين عندما قدمت لها لأنها لا

تسبغ طعمها.

وعلى عكس اليوم الأول من وصولها إلى الجزيرة حين كانت ترتدى ثوباً بسيطاً

شعرت بالفرح لارتدائه. كانت كاترين ترتدي اللبلة ثوباً طويلاً ذا أكمام

واسعة أخضر كلون الزمرد، مطرزاً بأشلاك ذهبية تناسب بشرتها البيضاء وشعرها

الأحمر.

ذلك الثوب أهداه نيكولاس لها بعد إحدى زيارته إلى قبرص لاشرافه على

مكاتبهم هناك. وترددت في قبول الهدية لكن إغراء الثوب كان أقوى من تردداتها.

وارتدت كاترين الثوب لأول مرة وهي تشعر أنه لم يكن من الحكمة أنها

ارتدته. فنيكولاس لم يكف عن النظر إليها طوال السهرة. ومن الظاهر أنه

استشف معنى خاصاً من وراء ارتدائها الثوب الذي أهداه لها.

كذلك لم تفت كاترين نظرة ستيفان... كانت نظرة خاطفة تدل على

إعجاب واضح لا يمكن أن تخفيها. وذلك عندما تولت لتنضم إلى بقية أفراد

الأسرة لتناول المشروبات قبل العشاء... والرائع أن النظرات الخاصة الممتدة

من هاتين العينين السوداوين جعلت نفسها يسرع على نحو أثارها وأخافها في

الوقت نفسه ربما كان ذلك راجعاً إلى تأثير الثوب الجميل الجديد. ولكن لابد أن

تعترف بأنها أحست بالارتياك والسعادة عندما وجدت ستيفان يحملق فيها مرة

أو مرتين أثناء العشاء. ومن المؤكد أن نظراته التي كانت تنم عن الفضول من

ناحية وعن عدم التشجيع من ناحية أخرى بعثت في نفسها شعوراً عموماً بالفرح.

«أهل شي» يتغير في هذه الدنيا باليون، وكاترين فناء عاقلة»

«بلو ذلك»

قالا ستيغان مستبأ وأبى والدته بالتمساة فامطمة، ومرة أخرى التفت

نظراتها لشعرت كاترين يرحطه ثم أردف بقول:

«أرجو أن تكوني مستعدة صباح غد يا كاترين...»

وأكدت كاترين بسرعة:

«نعم سوف أكون مستعدة متى تطلق»

ثم التفت نظراتها ثانية وقال:

«بعد العاشرة قليل، وأتأكد أن ترتدي ثوباً خفيفاً فالجو يكون عادة حاراً في

الليلة، هذا الوقت من السنة»

«نعم بالطبع»

وكانت فرحتها كبيرة لجرد فكرة ذهابها إلى قبرص مع ستيغان، ولبشأ

حاولت أن تفتح نفسها أن سب فرحتها هو مجرد التطلع إلى رؤية مكان جديد بل

كان يسعددها قعلاً أن تغض ولو بضع ساعات في صحبة ستيغان، ولم تحاول

إخفاء هذه الحيلة عن نفسها.

لكن نيكولاس لم يفتف غضبه لعدم تمكنه من اصطحابها في تلك الرحلة

وعندما غادر بيدوبوليس وابنته الجزيرة بعد العشاء خرج ليجت عنها في

المحلات، وكان يبدو غامباً غامباً حتى أنها لم تستطع إلا أن تبسم، وعندما

وجدوا وهي تسير بين أشجار السمرا الرابضة على جوانب البحر قبض على فروعها

بشدة وقرباً رأسه الأسود من رأسها، كانت أنفاسه الدافئة تلحح أفتها عندما

تحدثت، وفتت كاترين ألا يقترب منها على هذا النحو ولم يفت على مغادرة

خطيبته الجزيرة سوى بضع دقائق فقط... شعرت بالذنب عندما تذكرت أنها

ومدى حبها العميق لخطيبها.

«قولي لي يا كاترينا أنك تفضلين الذهاب معي إلى قبرص»

قال ذلك وعينه تترقان في ضوء القمر فردت عليه كاترين لائقة

وهو كتفيه العريضتين وهو يتذكر المثل القائل:

«تضرب عصفورين بحجر واحد»

ونظرت كاترين إليه بتعجب وقالت:

«أي أوراق»

رفع ستيغان حاجبيه وود عليها بهنو:

«بعض التنازلات بخصوص الأسهم.. على ما أعتقد»

«أوه - نعم بكل تأكيد»

وكانت قد نسيت تماماً مقابلتها مع مدام بيدوبوليس منذ يومين والسبب

الذي توصلتا إليه، لكن يبدو أن ستيغان يريد إعطاء الاتفاق صبغة رسم

نهائية بأسرع وقت، سافراً وعينه السوداءان تحديانها أن تقوّر رأيا:

«لم تغوري رأيك»

وبسرعة عزت كاترين رأسها بالثني ونظرت إلى السيدة بيدوبوليس

فأرت نظرات العجوز هادئة مسلة، لكن كاترين اضطربت بلا سبب

واضح.

وكان ليون بيدوبوليس يتابع المناقشة بفضول واهتمام، ثم التفت إلى

كاترين وعل وجهه ابتسامة خاطفة مهددة وسافراً:

«هل تملكين أسهماً في شركة بيدوبوليس للعلاحة بأنسة غراتنج»

ولاحظت كاترين أن هذا السؤال قد ساء ستيغان الذي قطب حاجبه

بسرعة. فردت كاترين لائقة وهي تتلعثم:

«نعم، ترك لي والدي بعض الأسهم»

«نعم - طبعاً تركها والدك لك وهذا مخالف العرف، فالتساء هنا لا نهم بذلك

المسائل يامس غراتنج»

لأل ذلك يبدو وهو ينظر إلى ستيغان نظرة متسائلة.

ضحكت السيدة بيدوبوليس برقة وقالت وهي تلمس كاترين بيدها

الحنيلة وتقول بلكنتها الأجنبية القوية:



«ولكن لا يضايقي الذهب مع ستيغفان وهي في أي حال راحة عمل  
بانينكولاس، رغم أنني سوف أروح عن نفسي كذلك»  
وبصوت يرفق عندما قرأت في عينيه نظرة غشاب ورة وقد بدا العيوس واضحاً  
على وجهه:

«مع ستيغفان! ولا بد أن أعترف من أخي الأكبر فهو يختلف عني كثيراً  
بأكثريته»  
«ولكنه أكثر منك جدية بالتأكيد»

ولكن كاترين لم تفهم المعنى المستر وراء لوله. فحضرها مرة أخرى لثلاثاً  
وهو أبطأ لا يحتم بالصغريات مثلكه  
ولمعت غيباء في ضوء القمر، وشعرت كاترين أنه يريد مصارعتها بشيء  
وقدت ألا تشعر بأي ذرة من الفشل لذلك. وسألته:  
«لست صريحاً معي؟ وكلامك لا يعني شيئاً لي»

ثم خرجت من طلال الأشجار إلى ضوء القمر الأصفر الكبير الذي كان يسمع  
في سماء بنفسجية اللون. وتلفتت أصابع نيكولاس على ذراع كاترين  
وتبست عليها بشدة. ثم قال لها برفق:  
«أنتظين أنني لم ألاحظ تلك النظرات التي كنت تلفتيها إلى ستيغفان عندما  
ظننت أن أحداً لا يراك يا جميلتي»

كان قريباً منها وأحست كاترين بالدم يتدفق إلى وجهها وهي تبعد عنه  
بسرعة وتخلص ذراعها من قبضته. وقالت له بصوت خافت لاهتة:  
«لا بد أن لك خيالاً واسعاً يا نيكولاس، فلم أنظر إلى ستيغفان نظرات ذات  
معنى خاصي. لماذا تعتقد أنني كنت أفعل ذلك؟»

لهز نيكولاس كتفيه العريضتين وقال:  
«النساء مهيدنه جذاباً أنا أعرف هذا. ولكن ليس نورك من النساء يا كاترينا  
فأنت لست من دنياه»

«وهل تعني أنني من دنياك؟ وهل هذا ما تقصده؟»

«وكان في صورتها رنة عدم التأكيد عندما أدركت أن مقالته كان صحيحاً لم  
يقال لها:  
«كل تأكيد يا جميلتي»

وسألت وهي تعرف أنها تقصر عليه ولكنها كانت تشعر بذلك في تلك اللحظة  
«عني لو تأملت غطيتك من النظرات التي كنت تصوبها إلي؟ فأنت لست عادةً  
في معاملتك لائتينا يا نيكولاس. لست عادلاً على الإطلاق»

وهرة أخرى بدت على وجه نيكولاس الرسم أمارات التعصب وضغط تكراراً  
على ذراعها بقوة وهما يسيران على ذلك الساطع الجميل وقال لها:  
«إنها من اختيار ستيغفان، دعني. ستيغفان يتزوجها»

اتار رده السريع القاسي الشكوك في ذهن كاترين، فلم تلتفت إلى النافذة  
المحاطة المحيط بها، بل راحت تركل الرمال البيضاء بقدميها، وقالت بهدوء:  
«ظننت أنه سيتزوج أليسا أندرياس، هكذا أخبرني ماريا وبعد كل شيء  
إليسا موجودة هنا»

فزة عليها بالتعصب لثلاثاً:

«ولكن أياً منها لا تجرؤ على التفرد بكلمة واحدة في وجهه، فستيغفان ينظم  
حياته غيره ولا يسمح لأحد بالتدخل في خططه الخاصة»

لم يجهد كاترين أي سبب منطقي لما شعرت به في تلك اللحظة. لكن قلبها  
بدأ يخفق بشدة، ونظرت فجأة إلى القمر الأصفر الكبير في السماء وشعرت بالفرة  
تغمرها، ثم قالت له:

«وهل يعني هذا أن ستيغفان لن يتزوج الآنسة أندرياس؟»  
للال نيكولاس وهو يهز كتفيه والكآبة على وجهه:

«من يدري مالذي يدور في خلد ستيغفان. أحياناً أفنى أن يتزوج حتى لا يجد  
الوقت الكافي للتدخل في حياة الغير وإحالتها إلى جحيش»

وبذلكت كاترين ثانياً عيلين والمراة التي تشعر بها نحو ستيغفان. وكان  
واضحاً أنها لم تكن ترغب في الزواج من غريغوري الذي كان في نظره

كاترين أكثر الأشفاء طيبة ونبلاً بين الثلاثة، ثم سألت نيكولاس:

«هل تعتقد أن هيلين سعيدة؟ أنا لا أجدها سعيدة دائماً.»

قالت ذلك بلهجة حذرة، فقد كانت كاترين غير متأكدة من رد فعل نيكولاس لاختاذها حياة هيلين وغريغوري كمثل فنظر إليها نيكولاس بعينيه الداكنتين ولم يقل شيئاً. وتساءلت إذا تضايق فعلاً من هذه الإشارة؟ ثم وضع ذراعاً حول كتفها وضمها هامساً:

«ألم تعرفي شيئاً عن هيلين؟»

ومرة أخرى تذكرت كاترين ليلة وصولها إلى الجزيرة وتلميح ستيفان عن شيء بين والدها و هيلين عندما قدم هيلين. وسلوك هيلين بعد ذلك معها. وجازفت بقولها:

«أعتقد أن هناك شيئاً لدى هيلين يجعلها تبدو تعيسة، ولا أدري ماهو لكنني اعتقدت أنه يتعلق بوالدي.»

وأخيراً باحت كاترين بما أرادت قوله، وفي وسع نيكولاس أن يخبرها بكل شيء الآن أو يقول لها إنها مخطئة وينتهي الشك الذي يساورها. وبدأ على نيكولاس التفكير العميق برهة على نحو لم تعهده من قبل، ثم ظل صامتاً. وخافت كاترين أن تبدد ذلك الصمت إلى أن قال أخيراً بهدوء:

«لا أدري كيف علمت ولا أظن أن هيلين أخبرتك بشيء وأنا متأكد أن ستيفان لم يبح لك كذلك بالسِر.»

فقالت له بصوت هامس:

«لاحظت أشياء كثيرة.»

فابتسم وأسنانها البيضاء تضيء وجهه الأسمر الوسيم مهنتاً كاترين على فطنتها قائلاً:

«إذن فأنت على حق يا جيلتي، فقد كانت هيلين على علاقة بوالدك.»

ولم تكن تصدق أو تتوقع رد نيكولاس الذي لم يراع شعورها فنظرت إليه وسألته بعد لحظة:

«خلاصة بينهما»

«هناك ظنا الخمر باكثرنا، لكنك لم تعري والدك جيدة»

اعترفت كاترين بذلك قائلة:

«أنا لا أعرفه بالرة، ولم أره إلا قليلا»

«ولكن لابد أنك تعلمين أنه كان يمضي معظم أوقاته في اليونان»

«وأرباب كاترين قلقة:

«نعم أعلم ذلك إذ كان يحب البلد وأهله»

ثم حكى نيكولاس لما هذه اللصة:

«أبلي والدك غريغوري في منزل أحد الأصدقاء. وفي إحدى الأمسيات دعاه

غريغوري لتناول العشاء في الجزيرة، وكانت هيلين هناك باعتبارها خشيعة

لغريغوري وقتئذ. ومن أول لحظة وقعت في حبه لما جعله يتيه بهذا الحب»

«ابتسم نيكولاس ابتسامة تدل على الأسف وهو يشير إلى نقائص والده:

«كانت هيلين جميلة ولم تتجاوز الثانية والعشرين من عمرها بعد. وتذكرها

كانت حادة في حياء أكثر من والده»

فقالت كاترين بصوت خافت:

«كانت أصغر من الذي في ذلك الوقت بحوالى عشر سنوات»

«أولاً نيكولاس ولفي»

«لا بد أنه أحس بفخر لوقوع تلك الفتاة الجميلة الصغيرة في غرامه»

«ولدت كاترين بالهجة ثم عن الأسى

«مسكينة هيلين»

«وافق نيكولاس على كلامها واستطرد قائلاً:

«علاً... مسكينة هيلين، ولكن كان يجب عليها أن تعرف أنها الخاسرة لأنها

كانت متطربة لغريغوري وكان لا يسمح لأحد بالتدخل لئلا هذا الارتباط

«ودت كاترين

«سنت مضارب ستهلوان؟ الآن فهمت لماذا تتحدث عنها بمرواة شديدة»



تعب أكثر مما يمكن أن تعلمه فتيات كثيرات»  
«نيكولاس»

لالت كاترين ذلك وهي تتطلع إليه بعينها الخفراوين اللتين بدا فيهما  
القلق واضحا في ضوء القمر  
«هإنه... أقصد ستيبان لن يفعل أي شيء، مائل بالنسبة الزاعة  
متفصدين يتدخل في زواجك»

وبدا نيكولاس كأنه كان يلتر ملياً في الأمر ثم قربها منه وحسها بين  
فراعيه، وأخذت أنقباض الدافئة تلقحها ثم قل بصوت هاسس:  
«إذا حاول ذلك يا جيلني فيوف نهرب معاً وتنداد... إنني أقسم لك على ذلك»

قال نيكولاس وقد بدا عليه الوله لأخيه على غير ماشرع

«ليست مشاريع ستيبان فقط بل كانت العادة أن يبدأ ليون بيدوبولوس  
بالخطوة الأولى ثم ينفذ ستيبان الباقي. أما هيلين وغريغوري فلم  
يعترضا على هذا الزواج في بادئ الأمر إلا ما كان ستيبان يوافق عليه»  
وتذكرت كاترين زوجة أبيها الثابتة الجسيلة المزينة وقالت:

«ولكن ماريانا كيف تزوج والذي من ماريانا  
لميز نيكولاس كتفيه وسرح قليلا كأنه يستعرض أيضاً ذكرياته مع  
شقيقته ثم قال ببساطة:

«أحبيته ماريانا وأعتقد أن جورج أحبها ولكن على طريقته الخاصة»  
والأول مرة في حياتها شعرت كاترين بالارادة الحقيقية في قلبها لتسلك والدتها ثم  
أردفت تقول:

«وطبعاً أنت إليه أسهم شركة الملاحة أيضاً»

وهو نيكولاس وأسد موالماً:

«من المعروف أن تهدي العروس زوجها شيئاً كجزء من هدية العرس ولكن بما أن  
ماريانا عاشت بعيداً عن وطنها أعطته الأسهم بدلاً من البيت»  
«باللهي»

وأغضضت كاترين عينيها المنقلبين بالدموع وبكت على مصير زوجة أبيها  
الحبيبة التي تركت وطنها وقالت:

«الوضع... الوضع ليس أفضل كثيراً من وضع العبيد. أليس كذلك»

ونظر إليها نيكولاس في فضول وراحت عيناه الدائمتان تنقرسان في  
ملائتها التي بدت صغيرة شاحبة في ضوء ذلك القمر الكبير وكانت عيناهما  
لا تزالان ممتلئتين بالدموع. ووضع نيكولاس يده برفقة على خدعها وقرب وجهها  
منه وكانت ذراعاه لا تزال محيط يكتفيها وقال بصوت هاسس:

«إنك تؤثرين كثيراً بكل هذه الأمور يا جيلني. ماريانا في أي حال تزوجت  
الرجل الذي أحبته رغم أنها لم تكن تراه كثيراً بعد الزواج... وكان زواجها بين

تحدثت بالندم لترك الطفلين بينما تذهب هي للترويح عن نفسها لذلك قالت لها  
سراة وهي تعدها كي تريح صبيها لأنها كانت متأكدة أنه سوف يرغب  
استخدامها.  
«سأخبر خالكما بفلك الرغبة».

وارتدت كاترين ملابسها بعناية وهي تدرك أنها رحلة عمل إلى حد ما.  
لكنها تذكرت قول ستيفان أن ترتدي ثوباً خفيفاً. وكان الثوب الذي اختارته  
مسيباً لكنه محتشم يلائم الجانب العملي من الرحلة. وكان من القبول البسي  
التسجم مع بشرتها الثقراء. أصاء لون بشرتها ذهبياً. وكان الغذاء مثلاً مع  
الثوب أيضاً ومناسباً للمدينة أو الريف. وبعد ارتدائها فلابسها ألقت على نفسها  
حذاء راحية في المرأة ودعت لزيارة الطفلين ثانية.

كانت كاسيا معها فأخبرتها كاترين أنها سوف تطلب من ستيفان  
مراقة الطفلين. فتطردت إليها كاسيا بهدنة وقالت لها بالكثير منها المنعشة:

«لا أظن أن السيد ميهوبوليس يوافق».

تهددت كاترين قائلة:

«إنك على حق يا كاسيا ولكن سأحاول ولا ضرر في ذلك».

أخذت كاترين الطفلين وزلت معها ركانا يشكلمان ويشحكمان وأصواتهما  
ترن في الجوى وعند وصولهم إلى نهاية السلم خرج ستيفان ووقف ينظر إلى  
الثلاثة ثم غير البهر وصوب نظره طويلاً إلى كاترين.

وكان يرتدي ملابس عادية لا تمت إلى العمل بقصبة. وشعرت كاترين أنه  
لا ينوي قضاء يومه في المكتب ويتركها وحدها الأمر الذي جعلها تفكر في وقت  
سعيد معه. انه يرتدي بظلمة عاجي اللون وسترة متناطقة مع جسمه النحيل  
وتحسباً بنياً. بلا ربط عتيق. كان زيه يرمي بالتمرد من الرسميات. لكن  
لسات وجهه الصارمة التي تشبه الشقرقنالفت مع هذا الشعور ولذلك تبحر  
جاس كاترين وتطلّعها إلى الرحلة. ثم قال لها بدون ملذعات:

## ٧ - لم يحن الوقت بعد

على الرغم من شكوكها نحو ستيفان وحديثها مع نيكولاسي عنه الليلة  
الليلة شعرت كاترين بفرحة وهي تستعد لزيارة نيكولاسي.

نظر إليها الولدان سعيدين عندما أخبرتها أنها ستطير إلى قبرص وطلبها منها  
مراقبتها. وكانت تمنى أن تلي طلبها فوراً ثم أنها دافئة مع أي شخص آخر  
غير ستيفان. أما معه فلم يكن في وسعها أن تلي طلبها. وبدأ حماسها ينفذ  
لما قالت وهي تنظر إلى عيونها الراضعة السوداء اللطيفة.

«إنها مجرد رحلة عمل لابد أن أوقع أوراقاً لصالح خالكما ثم أعود».

فقال لها أليكس وأخبره بشجعه بإقامة من رأسه.

«نحن نحب الشريان. ألا تستطيعين أن تطلبي من الخال ستيفان أن يسمح لنا  
بالذهاب أيضاً يا كاترين؟»

ترددت كاترين وتصارعت فيها عاطفة الرلام. وشعرت بالفطن. لأنها كانت  
منطلعة حقاً لهذه الرحلة مع ستيفان مع أنها رحلة عمل. ووجدت نفسها غير  
مستعدة لأن يشاركها أحد. حتى الطفلان. في صحبة ستيفان. وفي الوقت ذاته

«ما الذي تتوقعين مني فعله؟»

ونظر إليها طويلاً، فنظرت كاترين إليه لحظة قبل أن تشيح بوجهها وتحاذق قائلة:

«هل يمكنك اصطحاب أليكس وبول؟»

كانت تعلم أنه سوف يرفض الطلب حتى قيل أن تعرضه. فنظر ستيفان إلى الولدين وهز رأسه وقال موجهاً كلامه إليهما:

«أسف، فلن يمكننا اصطحابكما هذه المرة، ربما أمكننا ذلك المرة المقبلة.»

وكانت رفقة مع الطفلين تلعبها، كما عرفت أنها صاروا مفرجين جداً بخاطرها وخصوصاً بول، الذي لم يحاول إخفاء حبه لحالة الجذيف وقد انسجم مع بينه الجديدة ومرحاً كثيراً، وكان بول يالطبع هو الذي تأثر أكثر من أخيه لعدم الذهاب، وعندما نظر إلى ستيفان يعينه الواضعتين اللتين تقيضان عتياً وجدت كاترين التبه كبيراً بينه وبين نيكولاس.

«أريد الذهاب أيضاً أنا وأليكس.»

قال ستيفان وحسوته يتم عن الصرامة، وفي الوقت نفسه كلمة بهنو:

«لا يمكنك الذهاب، كما قلت لك الآن.»

لكن بول نظر إليه ومازال الأمل يداعبه، لكنه سرعان ما اكتشف في ستيفان خصباً عتياً لا يستهان به، فلتحول إلى كاترين وقال بصوته الرقيق غرسلاً:

«كاترين، ألا يمكنك الذهاب؟»

ولم تشعر كاترين بالندم في حياتها مثل ذلك اليوم، كانت مستعدة أن تركي طلبها إلى شخص آخر غير ستيفان الذي راح يحدق فيها بنظرات غاضبة وينتظر ردها على أخوها، ولم يكن أمامها إلا أن تركع بجانب بول وتحيطه بذراعيها ثم قالت له:

«أسف يا جيبس فلعلكما هذه المرة مستحيل.»

مط بول شقيقه وبرقت عيناه وسألها بصوت يرتعش على نحو بشير الأسى:

«لماذا لا يمكنك الذهاب؟»

حاولت كاترين أن ترد عليه ولكنها نظرت إلى ستيفان وقد أعيتها الحيلة وركته يقول:

«أني قلت إن هذا مستحيل.»

نظرت إلى ستيفان ورأت في عينيه نغاد الضير ثم هز رأسه بسرعة كأنه حم على لحظة العتيلة وانحنى عليها وقال وهو يضع يداً على كل صبي:

«عندما أذهب إلى نيقوسيا سأشرع في شراء مهرين لكما.»

كان صوته أرق بكثير ورأت كاترين وجهه الأسمر وقد لآن وكنته البسامة رقيقة، واستطره قائلاً:

«هل يروى ذلك لكما؟»

فرد بول قائلاً وقد اتسعت عيناه دغشة وقرحاً:

«مهران حفيان لي و لأليكس؟»

«نعم جوادان حقيتان لك و لألكساندر.»

ولاحظت كاترين أنه يفضل مخاطبة أليكس باسمه كاملاً ألكساندر

ثم نظر ستيفان إلى أخيه الصامت، صحيح أن أليكس يكثر بول بهنو ونصف لكنه يترك أخاه يتكلم بدلاً منه. ونظر الطفل إلى كاترين مرة أخرى

مستبهاً للبقاء في الجزيرة بعدما عرف الغرض من الرحلة وقال:

«وهل كاترين هي التي ستختار الجوادين؟»

لمضحك ستيفان وهز رأسه ووقع بول بين ذراعيه حتى أصبح في

مستوى نظره بينما كانت أسنانه تلعب في وجهه الأسمر، وقال:

«أختيار الجواد من صميم عمل الرجل ونحن لا نترك أعياننا للنساء يا صغيري.»

وشعرت كاترين بالدم يتدفق إلى وجهها، وغاليت بصعوبة الرقبة في الرد

على هذا الافتراء الذي اعتبرته مجرد غطرسة رجال، ولكن سعادة بول منعها



فقد صاح قائلاً بينا أعاده ستيفان إلى الوقوف مرة أخرى.  
«جيدا سيكون عندنا جهاد بالأيكس»

وفكرت كاترين أن أليكس أكثر تحفظاً في حابه وأرق في معاملاته فلم يكن لديه هذا الحماس العارم لكل شيء جديد مثل بول، الذي يشابه خاله نيكولاس وستيفان، بينا ورث أليكس رقة أمه مارية. وكان سكوتته قد أنهش ستيفان فنظر إليه بتعطية صغيرة وقال:

«أنت متحمساً لامتلاك مهر يا ألكساندر»

ورمى أليكس كاترين بنظرة أولاً قيل أن يومىء برأسه ويقول:

«نعم ياخالي ستيفان»

وقال ستيفان صامتاً لحظة ثم هز رأسه وبدأ عليه نقاد الصبر مرة أخرى وقال:

«ولكنك تفكر إلى حماس أخيك وشجاعته. أليس كذلك؟»

وشعرت كاترين بضرورة الاعتراض على رأيه هذا فطالت:

«لا، يا ستيفان»

ثم نظرت كاترين إلى وجه أليكس الجهاد وودت لو ركعت بجانبه لتواسيه وتفوضه عن هذا الحكم الصارم، ولكن راعها أنه لايل نظرة ستيفان الخالكة بتحد وثبات ورؤ في صوت حاسم ثابت:

«سأركب مهرى أيضاً ياخالي ستيفان»

واعتمدت يد ستيفان الكبيرة لثبته على رأس الصبي لحظة ولثم بعض كلمات باليونانية وهو يبتسم له. وتساءلت كاترين عن مدى التفاهم الذي سوف يقوم به ستيفان وأليكس ثم التفت إلى كاترين وتأملها بعينيه الداكنتين وقال:

«هيا، إذا كنت مستعدة ياكاترين»

كانت كاترين تريد أن تتحدث مع ستيفان في كثير من الأمور وهما

مران هذا البحر الأزرق بالطائرة. ولكن شغلها عن ذلك المناظر الخلابة العبيطة بها. فلم تتمكن من عتابة على قسوته على أليكس أو تهكمه على بان جنسها أمام بول. وبدلاً من ذلك نظرت إلى تعرج الشاطئ والمناظر التي تزيها الشمس في قبرص وعبرت عن سعادتها بكل ما ترى.

سوف أجعلك من سكان الجزر اليونانية»

قال لها ذلك وهو يبتسم ويستعد للنزول بالطائرة في نيقوسيا وكانت مهارته في الميوطة بالطائرة تتضاف إلى باقي مهاراته. فهو دائماً يتفوق في كل عمل يقوم به مما جعلها تحس بالثبور برحب القصص ولاحظت أنه معروف في المطار كذلك مثلاً كاترين الزهر عندما لاحظت نظرات بعض النساء تتركز على قامته الزينة وقساوته المتفطرة السمراء التي تشبه الصفر. وقد زادتها الحلة البيضاء سعة. لرجل مثل ستيفان لا تقاربه النساء ولكنه ربما لايل إعجابهن بشيء من البرود والصد.

وشعرت كاترين بالحيرة عندما عطلت في مدينة نيقوسيا برغم أنها لم تفعل شيئاً سوى الانتقال من جزيرة إلى أخرى وكان سجنائها، إذا صح هذا التعبير، مازال معها ولكن جزيرة قبرص كانت أكبر كثيراً من داكوليس ويميزها أن ستيفان ميديبوليس لايجتكمها.

ووجدت كاترين في الجزيرة أشجار اللوز والتفاح بحيلة بالفاكهة الناضجة ورائحة الجو معيئة بأريج الزهور، ورائحة الطيب هي أول انطباعات كاترين وأعفها في نيقوسيا. وطالت السيارة في شوارع، بعضها واسع وبعضها ضيق. ومنها ما يقرعها الشمس ومنها الظليلة. أما التنازل البيضاء فلها شرفات عديدة تطل على الشوارع المكتظة بالحركة، وتوافد فتحت مصاربعها تستقبل الهواء والشمس. وكان بعض الناس يجلسون على ملاعب مستقيمة على الأرصفة وهم يطلعون الصحف أو يتحدثون وكان هذا كله جديداً يختلف عما اعتادته ويشير إعجابها. وحاولت ألا يفوتها شيء وهي جالسة في السيارة بجانب ستيفان في

طريقها إلى مكتبه، وكان تعجبها من كل ما تراه قد راق ستيبان خطر إليها وهو يتعمق لها ابتساماً جعلت تبيض كاترين يسرع ليضع دنانق. كان مكتب ستيبان نفسه أقل فخامة مما توقعت لكنه كان يبدو مريحاً ورحباً إذا قيس بحرارة الحجر خارجة وساعدت المروحة الكهربائية على تنظيف جوفه. كما أن النوافذ التي تطل على الشارع كانت مطلوطة كلها.

وكان أثاث المكتب قديماً وقلماً وحيداً كأنث منزل جزيرة دافوليس. جلس ستيبان خلف مكتبه الذي يماثل تماماً مكتبه في الجزيرة وكانت كاترين قد قابلت عند دخولها موظفاً نظر إليها باعجاب وتحفظ وحباًها بابتسامه أضافت وجهه الوديع الأسمر  
«سوف نوقع الأوراق أولاً».

قال ذلك وهما يجلسان. ثم ضغط ستيبان على الجرس فجاء الكاتب الشاب الذي كانت كاترين قد رآته وهي داخلة إلى المكتب وأعطاه ستيبان بعض التعليمات السريعة باللغة اليونانية ثم ظهر بعد عدة ثوان يعاطح حزمة أوراق وضعها بعناية أمام ستيبان. ويبدو أن كل شيء كان معداً لهذه الزبارة ولم تدعس كاترين من ذلك فستيبان لا يتصرف أبداً بتسرع وخصوصاً فيما يتعلق بالعمليات الرسمية. وشعرت كاترين أن أسهمها سوف تكون في أيدي أمينة بإشراف شخص له ضمير حي مثل ستيبان.

وبقي الكاتب معها حسب تعليمات ستيبان، الذي قام من وراء مكتبه وأشار إلى كاترين أن تحل محلته وتجلس على مقعده. وبدأت الأوراق التي أمامها كأنها لا تفهمها أبداً إذ كتبت باللغة اليونانية. ولم يفت ستيبان نظرتها السريعة المتسائلة. فقال لها وقد بدت في صوته لحة تلاد الصبر المعتادة:

«أعترف أنك لا تقرأين اليونانية ولكن خيبي الوقت حال دون ترجمة الأوراق إلى الانكليزية. وسوف نعمل على ترجمة المستندات في أقرب وقت ممكن حتى يمكنك استلامها».

شكراً لك».

كان الامتنان يبدو عليها وهي تشكره لكنها كانت سعيدة لأنه أدرك ما صار بخلفها فهي لا تريد أن يظنها ساذجة غاماً وجاهلة في هذه الأمور.

وهرة أخرى قتم ستيبان بعض كلمات إلى الموظف الشاب الذي خرج وعاد بصحبة كاتب الآلة الطابعة الذي كان في الغرفة الخارجية. ثم وقفت كاترين بعد تردد لا يذكر على الورق الذي أشار إليه ستيبان بالتوقيع وبعده وقع كل من الموظف والكاتب.

هكذا تم التوقيع وأصبح كل شيء له صيغة رسمية شرعية. وارتاحت كاترين لذلك وشكر ستيبان موظفيه باليونانية وصرلها. ثم التفت إلى كاترين وهو يطوي الأوراق بعناية وقال يهدهو:  
«أنا سعيد لأنك تصرفت بحكمة يا كاترين».

فهرت كتفها وقالت له:

«لا يضايقني أن تقوم أنت بالجانب الرسمي من أعمالي كما أوضحت لي السيدة مينوبوليس. إنني لا أتكلم اليونانية ولن أفك من حضور الجلسات. وهذه الطريقة يحصل كل واحد منا على طرفه».

ووقفت بركة طويّة لا يتكلم. ثم حمل الأوراق وأودعها خزانة خفية أمينة والتفت إليها. شعرت كاترين بالخوف فبحثها. ثم جلس على طرف المكتب وترك قدماً تتأرجع بلا اهتمام وقال نحوها وقال:  
«هل تعرفين على ماذا وقفت يا كاترين».

فظهرت إليه مرتابة وقالت وهي تهز شعرها الأسمر يهدهو: «ولما نزل أن تيجع من نفسها للخالوف والرربة وقالت بصوت مبحوح:  
«قل لي كل شيء».

«وقفت تنازلك عن الأسهم لصالح».

فظهرت إليه لائلة وعينها الخضراوان قد حسان شرراً لسذاجتها من ناحية

ولقد اعد من ناعية أخرى، وقالت له في توبة تتم على الاتهام:

«غررت بي أنت تعرف جيداً أنني لا أعرف اليونانية ولذلك تعمدت أن تكتب كل هذه الأوراق بلغة أجهلها حتى لا أعرف نواياك».

وكانت تحاول أن تكيح الرقبة الجاهزة في ضربه ثم هتت واقفة.

«لم أعشك بل امرتك الآن أنك كنت تجهلين أن توقيعك سيكون على تنازلك عن الأسهم».

وكانت نيراته حادثة باردة زادت من اشتعال غضبها. وقالت في صوت عام غاضب:

«فلنت أتى أوقع بتسليم الأسهم إليك لتديرها بحسابي. وأعتقد أنك كنت على علم تام بما تفعل».

«وهل تعتدين أنني غررت بك عن عمد»؟

وظهرت على وجهه نظرة باردة خطيرة قبل أن الحرف لطلب كاترين، ووقف ستيبان قريباً جداً منها حتى خافت أن يمد يده ويضربها عقاباً على اتهامها له بالخداع والتغريب، وطلت تنظر إلى هاتين اليمين الداكنتين القويتين بخوف وإعجاب. ثم قالت له بصوت حاد:

«كيف تحاول أن توهمني بأنك لم تكن على علم تام! أخبرت السيدة ميدوبروليس بلكرني ووافقت أن تكون أنت وكيلاً عني».

«وكيل! وفي شركتي! والذتي تعرفني جيداً ولن تخيل أنني أقل أن أكون في هذا المركز يا كاترين فأنت لم تخفيها جيداً».

وبان في عينيه الغضب لأنها تنظر منه أن يقوم بدور لا يتناسب ومركزه، فتسلطها الشنق واحتر وجهها وبرقت عيناها وزاد ذلك من خضرة لونها وقالت: «بل لم أقم. لهما مطلقاً، السيدة ميدوبروليس قالت: إذا كانت هذه هي الطريقة الوحيدة التي أوافق عليها...»

فقاطعتها قائلاً وقد نفذ صبره:

«لا أريد أن أسمع تقريراً عما دار بينك وبين والدتي، من الواضح أنكما اختلطتا على البعض فخطأ كل منكما فهم الآخر. وهكذا أقدست على فعل شيء جيد».

«لأن أريد استرداد هذه الأوراق».

فقاطعتها بشدة هذه المرة وقد تقلصت شفتاه لغرابة طلبها وقال:

«مريدين! إنها موقوفة الآن ولا بد أن تخضعي للأمر الواقع يا كاترين عن طيب خاطر».

«ليس لك الحق، لقد خدعتني».

فرد عليها ببرود قائلاً:

«إن لي كل الحق، ولم أخدعك».

وبعد يده وضغط على راسها وكأنه يباط من جديد وعيناها القويتان منهاه بدخان شرواً.

«لن أقبل منك أي اتهام ثانية - هل تسمعين؟»

«سني أذهب».

وحاولت نزع يدها من يده ولكنه أطبق عليها بأصابعه الفولاذية فلم تتمكن من ذلك. بل شعرت بألم في ذراعها من شدة ضغط يده عليها ثم قال بصوت صارم بارد ولكنه مستسلم خاضع وبعد لحظة أدركت السبب:

«لكنني! هل تقطين أنني أريد موافقتي مكتبي أن يعرفوا أنك تتصرفين كطفل مدلل لأنك فقدت شيئاً لم يكن لك الحق في امتلاكه أساساً».

وردت قائلة:

«وهل أنت متأكد أن السبب ليس خوفك أن يعرفوا أنك خدعتني وأخذت مني شيئاً تركه والدي لي في وصيته؟ كنت تعرف تماماً ما تفعله يا ستيبان ولا تحاول أن توهمني بأنك لم تكن تعلم».

وقال لها:



«وكنيت أنا أيضاً متأكداً من أنك تعرفين ما تفعلين».

«وكان لا بد لهذا الغضب أن يهدأ».

بعد بركة شعرت أن قبضته على يديا أخذت تخف تدريجياً ونظراته التي كانت تنفحها خلف نظفيها قليلاً، وراح يقول لها يهدوء وبنفسه كأدت تصرفها بالرغم من اقتناعها بخطأه وإذانتها له.

«لم أصدقك يا كاترين».

«ولكني لا أصدق ذلك».

وبان في أفكارها هذه أن إدانتها قد خفت. الأمر الذي لطفي له شيئاً فأضاف بركة أثارت دهشتها.

«لننت أنت وأقمت على التنازل لي عن الأسهم ولذلك كتبت الأوراق بهذا المعنى» وكان علي أن أشتريك في الأمر بعد ذلك بنفسى ولكنني خفت أن تغير رأيك».

وكانت قبسة يده على يديا ذات تأثير أكيد على حواسها وشعرت بجنونها وأخذ تبصها يسرع عندما بدأ بهتط بركة ونظرت إليه لطيفة قبل أن تقول:

«وهل ظننت حقاً أنني قد ألهي من رأيي بالسيدة إلى التنازل لك عن هذه الأسهم».

ورجعت كاترين بلا ذكرتها إلى الرواد يوم وافقت السيدة عيديوليس على قرارها وقالت إنه خطوة على الطريق السوي. وتذكرت كم من السهل اقتلا عدم إتقانها للغة الانكليزية فربة هذا الانقباس.

وردة يهدوء

«يلا شك. ظننت أنك قد غيّرت رأيك وإلا ما جعلتك ترفلين على تلك الأوراق».

«لأنت تظلميني يا كاترين».

«أسف».

ونظرت إلى لوحة قبضته التي تكسفت عن عنقه الأسمر الثري ورأت عرونها

من شعرت بإبهامه بتحمس رسلها فتأثرت وراحت ترفلج بشدة حتى أنها لم تلاحظ ارتجافها.

«بنت أستاذنا البيضاء في ابتسامه رائعة ورابع حاجبه ولاق لها يهدوء».

«هل تنعبد إلى الغداء وترك خلافتنا جانباً».

«ستيفان».

وكانت تود أن تطلب منه أن يعد لها أوراقاً أخرى جديدة، ولكن قبل أن تكمل

الأمها انحنى نحوها وعانفها بركة تسببت بعدة ما كانت تود قوله.

وكان المعلم الذي قصدها صغيراً أيضاً الزنايت كاترين إلى جوه الذي رعت الألفة. وكانت عين رزاه تنظر إليها وتنفحها وهي في صحبتها. ومن الواضح أن ستيفان كان معروفاً للجميع هناك. ولكن القلة منهم جاءت لتخبر مع. لا شك أن عائلة عيديوليس كانت معروفة في كل الجزيرة حتى أفرادها بكل احترام.

واختار ستيفان مائدة خلف سور حديدي قصير ترتفع زوجتي سلم عن باقي الطعام. وكان يريد أن يكون بعيداً عن باقي الرواد وهي عادة يتبعها كلها تناول طعامه في الخارج. كانت جدران المطعم بيضاء كغبرها من أبيض تلك الجزيرة النسيئة. وكانت نوافذه الصغيرة تفتح على مناظر أشجار التين والتفاح. وراحت النازل على بعد ثلثها التلال التي تكسوها الأشجار.

وتركت كاترين اختيار طعامها إلى ستيفان مما أراح له. فقط كان يتضايق عندما تنولى اختيار الأصناف لطعامها. وعندما تركتها الخادم لاحتضار طعام سألت كاترين ستيفان عن الأصناف التي طهيها فرد عليها يقول:

«ماز» هل تعرفين ما هي».

فبهزت رأسها بالنفي وأثارت ابتسامته شوكوكها فبألتها:

«هل طليت طعاماً لا يروق لي يا ستيفان».

فزع حاجبه وهو يصب الشراب الذي أحضره لها صاحب المطعم توتاً ثم ابتسم

والأخط دأباً في البيت أنك تستيقظ كل الأطعمة التي تقدم لك.

والرافع أن كلمة في البيت أعطتها شعوراً بالأمان. لكنها شعرت بالأسر  
يكسو وجهها. فهو يراقبها ويلاحظ شهيتها المفتوحة وإقبالها على الطعام. فلهذا  
«يجب ألا أكل بهذا التهم. ولكن الأصناف التي تقدم عندكم لذيذة الطعم  
وكثيرة. فلا أستطيع أن أقاربها لأنني أحب تجربة كل صنف منها.

تأملها ستيفان لحظات وقال لها وهو يتسم تلك الابتناء العادة التي  
تلهب دماغها دائماً:

«لا تخشي الطعام فأنت لا تزالين رشيقة. ولا أرى أي تغيير في لوامك».

ووجدت كاترين من نظراته التي كانت تتفحصها لكنها قالت وهي تضحك  
بديها كعادتها دائماً كلما تأثرت حواسها بقرية. ثم ضحكت ياربك.

«إن مسألة الطعام لم تشكل لي قلقاً أبداً وذلك لعن حطلي».

أجلها بجديّة وعيناه تراقبها وهو يحسب الشراب:

«نعم إنك محظوظة جداً. وإنك فنانة جميلة جداً يا كاترين».

وهل يصدق فيها بعينه السوداوين.

«شكراً لك».

لم تجد ما تقوله أكثر من ذلك. ولم تضحك بخجل مثل التلميذة الصغيرة أو  
تجامل المجاملة كأنها إلهة زائد لكلها لا يرضي ستيفان عنها. ولكنه  
يفهم ويقترب قبولها الهدى الجمال. وعاد يقول:

«أنت جميلة لدرجة الخطورة. أعتقد ذلك».

نظرت إليه مسائلة عما يقصده وقالت:

«ستيفان. إني...»

ولكنه رفع يده وأسكنها بإشارة منها وقال وقد بدا جاداً:

«نيكولاس يجذب جذابة جداً».

وجبت كاترين كيف يتنقل كلامها من موضوع خفيف مثل شهيتها  
إلى الطعام إلى موضوع أكثر جدية تختلف فيه تيرات ستيفان في  
اللام. وتلاحت ذقات قلبها. إذا سوف يأمرها ستيفان بمغادرة الجزيرة لأنه  
قد وجدها عاملاً لعدم مشروع زواج نيكولاس. ولكنها الآن لم تتقبل أمره  
هذا البساطة التي كان يمكن أن تنقله بها منذ عدة أسابيع. فروت عليه قائلة:

«أحاول عدم تشجيعه دائماً وخصوصاً عندما نكون أثنين بيدوبولوس هناك.  
ولا أرى ما الذي أستطيع فعله يا ستيفان».

لم يرد عليها فوراً بل راح يعبث بالكأس في يده وقال لها بهيئة:

«ربما أستطيع أنا أن أفعل شيئاً».

وطلعت كاترين بعينها خطرة ونظرت إليه بعذر وفصول وشبابته. ترى

لذا يحاول تخافي النظر إليها على غير عادتها وأخيراً قالت:

«إني لا أقصك».

فابتسم ابتسامة عادية انعكست في عينيها السوداوين عندما نظر إليها أخيراً

وقال برفق:

«ستفهمين قريباً يا صغيرتي. والآن قلعي بالمائة».

وكانت كاترين تود أن يغير الموضوع كله فطالت له:

«ما هي المائة؟»

«إنها طعام مكون من أربع أصناف ستعجبك كثيراً».

وشحك قاضاء الضحك وجهه الأسمر عندما صفا الخادم أطباق الطعام  
أمامها وجدت كاترين المأكلة يحتوي على أصناف من الجبن وورق العنب  
الحشرون واللحم وخصوصاً لحم الضأن المتبل بالليمون والثوم و السوفلاكسي وهو  
الكباب حسب الطريقة اليونانية واستمتعت كاترين بالطعام فلم تستطع أن  
تتناول المزيد من الحلوى اللذيذة بل ختمت بالقاكهة الطازجة. وتخلل القاذرة  
احتساء نوع من الشراب الأبيض المصنوع محلياً يسمى افروبيت وخيل إليها

انه لم يحدث في حياتها أن التهمت مثل هذه الكمية الضخمة من الطعام.

ثم قالت: كاترين

«أخجل من نفسي..»

وضحكت برقة عندما أخذ جيز رأسه:

«ولماذا؟ ألم يرق لك الطعام؟»

قلست: كاترين رأسها وقالت:

«كان رائعاً وقد أفرطت قليلاً في الشرب فقد راق لي كباقي الطعام. كل شيء

كان رائعاً.»

«ولكنك لا تحبين القهوة؟»

ولم يكن في الواقع سؤالاً بقدر ما كان ذكر حقيقة، وتعبت: كاترين كيف

لاحظ ستيفان أنها لا تستسيغ القهوة التركية وترفضها عند تقديمها في منزله

فقالت له وهي تبسم:

«أحب القهوة أحياناً ولكن ليس على الطريقة اليونانية.»

«لاحظت ذلك.»

ونظرت إليه كاترين من بين أهدافها الكثيفة ووسوس لما شغلها ثانية،

كما فعل من قبل. أن تداعبه حتى ولو فقدت في سبيل هذه المداعبة مدتها

الرائدة فقالت وهي تبسم:

«وهل تلاحظ كل شيء؟»

فلم يقل شيئاً وقال صامتاً برقة طريقة تم رفع كأسه إل شفتيه وراح

يتفحصها وهو ينظر إليها بعينين سوداوين عميقتين لا قاع لهما... ووضع كأسه

على المائدة وقال بهدوء:

«ألاحظ معظم الأشياء. لذلك موهبة يجذب النظر إليك يا كاترين. وجلست على

مائدتي مدة تقرب من الشهر الآن فكيف يمررتي ملاحظة ما تحبين وما تكرهين؟»

«صحيح.»

وشعرت بقلبه يخفق بشدة. وقت لو أنها لم تكن متبهرة هكذا. ومزبل إليها

أن هناك شيئاً يدور في ظله وهو متروك في التصريح به. وتساءلت ما إذا كان هذا

الشيء يتعلق بها و بينكولاس، وقد سبق أن حاول فتح ذلك الموضوع بالذات

ولكنه أغلقه عندما بدأ طعامهما... ولم تكن ترغب في إثارة الموضوع مرة أخرى.

فقالت وهي تأخذ كأسها عن المائدة:

«أين نذهب الآن؟»

وهو ستيفان رأسه وقال:

«أقترح الذهاب إلى الشاطئ حيث الجو منعش. ولكن نرأولاً بصدقين لي في

الجبل لنسهي مسألة حصاتي بول و الكساندر الجو هناك سيكون أظلم

كثيراً من هنا.»

ومالت كاترين برأسها وبرت عينها الخضران بابتسامة حلوة وشعرت

بأنها مستعنة لتذهب معه إلى أي مكان. ولم يكن هذا الشعور نتيجة إفراطها

بعض الشيء في الشرب.

وقالت ستيفان:

«ورغبتك أمر.»

وايضم لها ستيفان ومرة أخرى تألفت عيناه السوداوان العميقتان اللتان

استقرتا على قمها وقال هامساً:

«لم يحسن الوقت بعد يا حبيبتي... ثم يحسن الوقت بعده.»



ومن العجيب أن يكون صاحبها انكليزيا يدعى اليك ماين. ذهبت  
كاثرين عندما جئنا ستيفان. شمة تدل على أنها مرتبطان بصداقة قديمة  
شينة. ونظر ماين إلى كاثرين نظرة إعجاب ونهض عندما قدمها ستيفان.  
له فقال:

«من غرائبها هل لك صلة قرابة بجورج غرانجر؟ وردت كاثرين؟  
«أه والدي».

ونظرت إلى ستيفان وهي تقول ذلك رغم أنها تعرف سبباً لذلك قد اليك  
يقول:

«أفلبته مرتين عندما كان بصحبة...»

ويش على وجهه الودود الباش شيء من الحرج فالتفت إلى ستيفان وقال  
«أنت أيها الصديق أنتي...»

«فرد عليه ستيفان بغير الحديث بليلة ويقول بهو»

«أنت هذا لأرى المهرين الذين كلمتك عنها».

لا شك أن الذي كان بصحبة والدنا في المناسبات التي ذكرها اليك ماين  
هي هيلين سيدويليس. فوراً كان ستيفان يعتقد أن لا علم لكاثرين  
بهذه القصة مطلقاً. تساءلت هل سيخبرها بما بعد مغادرة الفيللا؟ وماذا سيقول  
لو عرف أن نيكولاس أطلعها على هذه العلاقة من قبل؟

قال ماين وهو يسلك الطريق خلف الفيللا وينظر إلى كاثرين تنمو  
بينه وبين ستيفان.

«نعم بكل تأكيد»

ثم قال موجهاً سؤاله إلى كاثرين:

«هل ستطوّل إقامتك في اليونان يا ألسة غرانجر؟»

وجدت كاثرين أن هذا السؤال يصعب الرد عليه فالتفت وهي تنظر إلى  
ستيفان ثلاثين ثانية قبل أن تجيب:

## ٨ - العنيد المستنير

وعندما تسالت السيارة الجبل خيل لكاثرين أنها دخلت إلى دلتا ثانية رافعة  
لها كثيراً. فالتفتت إلى أشعة الخار والجمال الصخرية المكسوة بالأشجار والمناظر  
الساخرة حركت أحاسيسها. وجعلتها تضح بسعادة غامرة.

وكان جزء من الطريق محاطاً بسور من الحجارة البيضاء المائلة للصفرة وهي  
حجارة الجبل نفسه تكسوها النباتات الخضراء المورقة هنا وهناك. والأرض صلبة  
جافة أثارت سحياً من الغبار الأبيض كلما التفت السيارة في المنحنيات على حين  
غزة. وكان الجو يزداد برودة كلما تسلقنا الجبل. فأغسقت كاثرين عينيها لتتبع  
بالنسيم المبعث يخفف الحرارة عن جبهتها. وصبق ستيفان عندما قال إنه  
سوف يجد الجبل أكثر برودة من المدينة.

وكانت الفيللا التي يقصدها وألعة على جانب من التل. تعلوها الصخور  
المفروحة بالشمس وتحيث أشجار البندق واللبنون وأشجار البرو بأنوار المحصرة  
المشائية.

أما بناء الفيللا نفسها فابيض اللون على مستويات متفرجة. متلفها مسطح  
ونوافذها مفتوحة كلها للهواء والشمس. وبدت جميلة. مع مسحة خيالية في

كُنت متأكدة تماماً من ذلك، لست متأكدة في الواقع.

ثم حاولت أن تلقى على ترددتها وتفسر معنى كلامها لولا تدخل صديق الذي قال بهتوا:

«كاثرين» عقيمة هنا مع أخوها بعدما أصبحت أنا وصياً عليها منذ ولادتهما.

ودعش الرجل لذلك... وشعرت كاثرين بقلبها يسرع عندما قبض ستيبان بشدة على ذراعها وقربها منه، كأنها أصبحت ملكاً له، وشعرت من كلامه أنها هي الأخرى أصبحت تحت وصيته، وتساءلت ترى هل أدرك أن أسلوبه في الكلام قد أرمى بذلك. فزوت بحجم قاتلة:

فولتلك لست وصياً على أنا...

وقبضت أصابعه على ذراعها بشدة وشعرت بالألم وهو يضغط عليها وكأنها يعاقبها على تصحيحها كلامه ثم قال:

«لم أجد عبارة أستعملها أحسن مما قلت يا صغيرتي، ما هي الكلمات الأخرى التي أستطيع أن أستعملها؟»

وبرقت عيناه وهو يتحدثها وتلقى وجود أليك ماين الذي راح ينظر إليها بدعشة بالغة. وبدأ كأن ستيبان أراد أن يوجه صديقه بأن له سلطة على كاثرين الأمر الذي جعل كاثرين تتور. وفكرت... تلك الأصابع القوية التي تقبض على ذراعها... ومخاطبته لها بقوله يا صغيرتي... كل ذلك أثار روح الاستفلال فيها بطريقة أليمة وقالت له:

«تجشك القول بأنني هيلة»

ونظرت إليه بعينها المضراوين كأنها تتحده أن يتقي ذلك ثم هز ستيبان كتفيه المريضين وقال جديداً:

«استعملي أي عبارة يا كاثرين. ولكنك لن تغيري من الموقف شيئاً»

في بلد يكثر فيه وجود اليقالي والمحير أسعد كاثرين وجود الجياد في الحظيرة وراء القلعة. وراق منظر الجياد الصغيرة لكاثرين كثيراً وجعلها تصيح فرحاً

بشيء خلافتها مع ستيبان. ذلك أن منظر الجياد ذكرها بوطنها فشعرت بحنين ومع وسعت أليك يقول وهو يشعر بأحاسيسها أكثر من ستيبان نفسه: «العائلات الانكليزية تطلب هنا الجياد لأولادها، ويدعشني أن الجياد تتألم هنا بسرعة وتعيش فيها كما يعيش البط في الماء»

فزوت كاثرين تقول برفق:

«إنها تبدو انكليزية»

فانضم اليك وهو يقول:

«إنها من ويزر. ولكنني أفهم شعورك فهي كالتي تعودنا رؤيتها أيام الأعداء تطيحها الأطفال ويحجزون في الطفرات والقرى أو يخبرون بها حول الحقل»

وكان ستيبان ساءه أن يشارك كل من أليك ماين وكاثرين في لحظة دون إلى الوطن، هضط بشدة على ذراعها وبرقت عيناه وطلب حاجبيه وقال لأليك:

«والآن نرجع إلى عملية الشراء، وأحب أن أذهب لرؤية الجياد»

«بكل تأكيد»

وبدت الدعشة والارتباك على وجه كاثرين فذه القاطعة. فادها مضيقها إلى حيث توجد الحيل، فدخل ستيبان وحده وألقى الباب وراءه وترك كاثرين قائلاً:

«إن أليب طويلاً ويجس بك أن تنتظري هنا»

ونظر إليها لحظة بعينه السوداوين النافذين واستطرد قائلاً:

«والحين إلى الوطن شعور خفيف نالته»

لم يجد الوقت الكافي للاحتجاج، لكن عندما رآته يخطو بسرعة إلى حيث وقفت الجياد، قلقلها شعور قوي بأنه يشعر بالغيرة من أليك ماين بسبب تلك اللحظات القصيرة التي تشاركها فيها الحنين إلى الوطن وأدهشها ذلك المخاطر فلم تفعل شيئاً سوى أن تراقبه وهي متكة على السور الذي يحيط بالجدار. وعيناهما تيرقان كقطيع من الأحجار الكريمة.

ومرّ يومان قليل أن يتمكن. نيكولاس من التحدث إليها على انفراد. وشعرت كاترين أن لديه أسئلة كثيرة يودّ معرفة أجوبتها، وذلك عندما كان ينظر إليها بعينه السوداوين أو عندما تلججه وهو ينظر إليها أثناء تناول الطعام.

كانت كاترين قد اشغلت يومين بالطفلين بعد وصول المهرين إليها. وقضى الطفلان للركوب وكانا يودّان لو ركبا المهرين طوال ساعات النهار كلها حتى أن ستيفان أمر بفترة راحة وسط النهار إشفاقاً على المهرين وليس إشفاقاً على نفسه أو على كاترين.

وتولى ستيفان سحب مهر أليكس من لجامه وساعدت كاترين في تعليم بول وهو يحاول جاهداً إطاعة تعليمات خاله الذي كان من رأيه أن يتعلم الطفلان أصول الركوب ولا يتمسكان بالثبوت لقطر وقع الولدان بفروس ركوب الخيل كما فعلت بها كاترين.

ومن الغريب أن أليكس أثبت أنه أحسن الولدين. وذلك لصبره وهذونه وميله للتعليم وليس لجرد التظاهر كما هو الحال مع بول. ولذلك أعجب خاله بتقدمه ولاحظت كاترين بعد يومين من صحبتها أن هناك شيئاً كبيراً بين أليكس وستيفان مما أعجبها كثيراً.

وفي إحدى الأمسيات بعد رحلة ستيفان وكاترين إلى قبرص جاءت أُنينا ووالدها للعشاء. وفي مساء اليوم التالي تحدث ستيفان ووالدته مع كاترين عن تركيا وعن حياة السيدة ميغوبوليس في اليونان.

ووجدت كاترين الحديث شيقاً فلم تلاحظ تأقّد نيكولاس من الوضع وكانت كاترين قد تصرفت بحكمة فلم ترمي مسألة الأسهم ثانية أو سرّ الفهم الذي حدث بينها وبين ستيفان بسببها مع أنها كانت تودّ أن تغير هذه المسألة. وفي الوقت نفسه لاحظت مرة من تصرف ستيفان أنه يتوقع منها ذلك.

وفي الأمسية الثالثة قال نيكولاس لها شاكياً:  
«لم أستطع الانفراد بك حتى الآن»

وكانت كاترين قد خرجت إلى الحديقة بعد العشاء ونهها نيكولاس لئلا:

«ستيفان يكاد يترك أعماله حتى يظل في صحبتك»  
واعترفت بقوله.

«كنت أساعد في دروس الركوب مع الطفلين».

ثم سألت نفسها هل رتب ستيفان ذلك حتى يبعدها عن نيكولاس وتذكرت ما قاله ستيفان لما عند تناول الطعام بأنه سيتدخل ليعيد نيكولاس عندها عندما اعترفت له أنه لا يجد الوسيلة لابعاده أو الحد من إصراره على ملاحقتها.

وقال نيكولاس:

«هو ذرّ ذلك حتى لا أراك».

ومطّ شفتيه ليخبر عن مدى استيائه ووضع ذراعه حول كتفها وقربها منه واستطرد قائلاً:

«إنه يسعى لتفريقنا يا جيلتي ولكنني لن أمكنه من ذلك».

وكان يسعى أن يبعد ذراعه عن كتفها ولكنها لم تفعل واكتفت بأن قالت:  
«نيكولاس، لا حق لك في التصرف معي بهذا الأسلوب. فأنت خطيب أُنينا».

سألتها نيكولاس قائلاً:

«وهل كلمك ستيفان في هذا الشأن؟»

ونظمت إليه وقد اعترضها الخوف لحظة وسألته بدورها:

«وهل كلمك ستيفان في شأننا؟»

فهرّ رأسه بالإيجاب وبأن على وجهه الوسم الاستهزاء والتعدي وهضت كاترين غروجه ورادها إلى الحديقة بهيّا سبق أن حفره أخوه بأن يعتدل في سلوكه تعوها. وقال:

«لا بد أنه حدثك أيضاً عن وضعنا فقد لاحظت أنك تتجشّون ملابتي».

واعترفت قائلة:



«ذكر الموسوع كلتي، عابر عندما كنا تناول الغداء في نيقوسيا ولكنني لم  
أفهم مديانك يا نيكولاس. ولكن ستيبان على حق فأنت خاطب أيتها.  
وسواء كانت هذه الخطوبة من تدبيرك أم من تدبير ستيبان، لابد أن تكون عادلاً  
معها».

وهزت كتفيها بخفة تحت ذراعهم لمرق عليها برارة قائلاً:  
«عادل معها هذا معناه أتى أفنديك يا كاترينا ولن أفعل ذلك»  
«إذن اجمع شجاعتك والمسخ خطيتك».

هكذا ألحت كاترين إلا أنها أدركت أخيراً كيف سيبدو هذا تسرعاً، فلما  
حدث ولسخ نيكولاس خطيبته فإن ستيبان لن يفرطاً ذلك أبداً.  
وقال نيكولاس:

«لا يمكنني أن أفعل هذا يا كاترينا لأن هذا تصرف بخلي بالشرف»  
وتفكرت كاترين إليه لحظة وهي تحاول أن تفهم منطق تفكيره وقالت:  
«تقول الشرف. وهل من الشرف أن تغالتي وأنت مرتبط بأيتها»  
وتتهد حتى يلازم على كاترين ويكسب عطفها عليه وقال:  
«إنك لا تفهمين».

وشعر بنقاد الصبر وأخالف قائلاً:  
«ما فائدة ذلك لي أية حال طالما أن ستيبان يرتب خطأ لك أيضاً»  
فنفطرت إليه كاترين نظرة طويلة وهي لا تدري أتصدقه أم لا، ثم هزت  
رأسها ببطء وقالت:  
«حفظ لي أنا».

على مدى يومين كاملين كانت كاترين حلازمة لستيبان فلم يشر فيها  
إلى أي مشاريع لها، ولو أنه فعل لكانت تهته سريعاً عن ذلك. وهو يعرف ذلك  
حق المعرفة. ثم قالت لنيكولاس:  
«لا بد أنك مخطيء يا نيكولاس».

وراج نيكولاس يؤكد تدابير ستيبان لها. ولم تزوج نيكولاس الفتاة كما

روعت كاترين. ولكن في الوقت نفسه كان كارهاً لها. ثم قال:  
«لست عطفاً. قال لي أبي أني أشرف العائلة. ليس فقط بإسماي إلى أيتها  
ولكن بسبب سلوكي معك لأن لديه خطأ أخرى لفحصك»  
وشعرت كاترين بالهانة واحتجبت قائلة:

«ولكن هذا ليس من حقك يا نيكولاس... بساطة وكل وضوح ليس هذا من  
حقك».

أحست كاترين بالضعف لجأة كأن جسمها تحول إلى ماء، وراحت ترتجف  
وشعرت أن بدأ باردة قبضت على قلبها وأحست برغبة في البكاء فلما مال  
نيكولاس نحوها أغضت عينيه وكورت يديها الصغيرتين بقوة ووسمعتها  
على قميصه الأبيض الناصع. فوضع ذراعه حولها وضمها إليه لحظة واستقر ذنبه  
على شعرها الأحمر وسبغها تقول:  
«لا تدعه يفعل ذلك يا نيكولاس»  
«نيكولاس».

كان ذلك صوت ستيبان. وكان صوته بارداً جافاً وأصعباً فأنقضت كاترين  
عينيه مرة أخرى وتشبثت بنيكولاس بشدة. وكان من طبع ستيبان إذا  
غضب أن يكون من الصعب التعرف في وجهه وتحميده. ولكنها خافت أن تنهار  
وتبكي فبظلتها ستيبان بلهاء وبجهرتها لوجودها مع أخيه في ذلك الوضع.  
ثم حاول نيكولاس أن يفلت يديها عن عنقه برفقة. ونظر إليها وأمسك  
بيديها لحظة ليل أن يبعدا عنه ونظر إليها مرة أخرى بعينيه السوداوين محاولاً  
أن يجعلها تفهم. ولكنها كانت تعرف بالتأكيد أنه سيفعل ما يريد. ستيبان.  
وأحست أنها تكفه عندما تبين لها أنه سيمسكها حتماً  
ثم سمعت ستيبان يقول له:

«أريد محادثة كاترين على انفراد»  
أخذ نيكولاس ذلك القول على أنه أمر بالانصراف. ومدت يديها إلى  
نيكولاس متوسلة، لكنه هز رأسه ببطء وسار نحو ظلال الأشجار القريبة.

لشعرت بقلبيها بفوق في صدرها. وقال ستيغان بحدق:

«وهكذا تلبين كل ما في وسعك لئلا تشجعيني. أليس كذلك؟»

وزنت كلياته الشهامة عليها كلمة الباردة فارغيت. وكان من اطلبهسي  
ألفهم توسلها نيكولاس كي بقي. ولم يحاول أن تفسره خطأ. ثم أراد  
أن تتبع نيكولاس إلى المنزل فلم تلتفت إلى ستيغان وعقبت بعض  
الخطرات. ولكنها سمعته يقول بلهيب وشد:

«انتظري. أريد أن أحدثك.»

«ولكني لا أريد الكلام معك.»

وكانت دموع الغضب لمحج عنها كل شيء سوى منظر نيكولاس وهو  
يتحرك. كانت دموعها تعبر عن الغضب وعن أحاسيس أخرى لم استطع أن  
تعرفها بعد.

«انتظري.»

لأن ذلك لم يلبس على رسغها بقوة ليمتعا من الحرب ونجح في وقفها.

«بعني أذهب يا ستيغان، بعني أذهب.»

كان الحرف يبدو واضحاً في صوتها. وحاولت جهداً الاقالات من قبضته  
ومقاومة أصابعه القوية التي تلتفت حول ذراعها. لكنه دارها إليه ونظر إليها  
غاضباً. وراح يسب بعض كلمات بزنائية وضغط على ذراعها بشدة أكثر جعلها  
تنزق وقربها منه ونظر إليها بعين سوداوين تقيضان بغضب ناري وقال لها:  
«استمعني إلى اغنيكولاس لن يهزم إليك. لا تأمل ذلك.»

نظرت إليه وعيناهما تقيضان بالدموع وهي تلتقي بشعرها إلى الخلف كأنها  
تتخذه وقالت بصوت يفطر مرارة:

«لأنك أجبرته على أن يفعل ما تريد أنت.»

«ولكنه لم يفعل. وإلا ما كان معك هنا منذ لحظة. إلا أنه يعلم أنني على حق معها  
حاول الاعتراض. ولعلم أن واجبه نحو أختنا ونحو أسرته يحتم عليه أن يفعل  
من اهتمام بك.»

وقالت لماري الدفاج عن موقفها:

«حاولت أن ألهمه ذلك.»

ودت تعبيرات وجهه أنه يشك في كلامها ونظر إليها باذراء جعلها تشعر  
بخلص في أحاسنها وقال بيرو:

«سبق أن قلت لي ذلك ولكني رأيت الآن كم تتبطن من حاسده»

وقالت:

«ولكنك مخطيء.»

ونظرت إليه متوسلة. لكن صوته كان بارداً قاسياً. وتقلصت أصابعه على  
رسغها. وفجأة أدركت أنها تفعل عكس ما أفسحت ألا تفعله. فهي تبرر موقفها له  
ولن تفسر له تصرفاتها. وسوف تتركه يظن بما ما يشاء. فمن يدري لعله يفكر مرة  
أخرى متردداً في وضع الحفظ لستابلها. إذا تصور أنها فتاة عابثة بلا خلق. كان  
صوته بارداً جافاً وتقلصت أصابعه بشدة حول رسغها وقربها منه حتى شعر  
بقوة جسمه العتيقة ونحس بالغضب الذي جعله قاسياً لا يثنى. ثم قال بهدوء:  
«لم أكن مخطئاً عندما رأيك بين ذراعي نيكولاس. وسعيتك تتوسلني إليه أن  
يبنى. لا يمكنك الانكار يا كاترين فقد رأيكها بعيني.»

«إنك تبني اتهاماتك على أوهام.»

ركفت عن التمسك من يده ونظرت إليه بعينين لامعتين وقالت له وهي  
تغم كفتها معاً وكأنها تصلي:

«وانك لا تصدقني يا ستيغان لأنك لا تريد ذلك. ولكن هذا المنظر لم يكن يدل  
على شيء كما تصورت أنت.»

وشعرت أن أصابعه تراجعت عن رسغها قليلاً. لكنها لم تحاول أن تسحب  
يدها. ثم قال لها بيرو:

«إن خبري لي معنى هذا المنظر الذي شاهدته بنفسي.»

وكان على كاترين أن تخبره بأنها على علم بما يدور لها من مشاريع لزواجها.  
وأن تراجه غضبه الجامح عندما تخبره أن نيكولاس سافر من ذلك ثم قالت له

مرة أخرى بصوت بهت اليكار:

«هذا للتفكير لا يدلّ على شيء.. وصداقتي في ذلك.. يا ستيفان»

«سوف أصدقك عندما تخبريني لماذا كنت بين ذراعيه عندما فاجأتكما؟ وإذا لم تفعل، سوف أضطر إلى تصديق ما شاهدته بعيني»

قال ذلك بالهجة مثل على التصميم... ومرة أخرى غضبت لأنها وجدته عبيداً مسيطرأ وصامتاً قاتلاً:

«يظن من يسمعك أن لك الحق كل الحق في تقرير مصيرك ليس لك الحق في أن تعيش حياة الآخرين بدلاً منهم، إنك قد ربّيت زواج غريبضروي وهيبلي كذلك ربّيت خطبة نيكولاس وأنتينا لأن نيكولاس ليس لديه الشجاعة ليوقفك عند حبلك، ولكنك لا تجرؤ على التدخل في مستقبل يا ستيفان، فإن أجيل الزواج عن طريق المقايضة، وعندما أتزوج أخفّار بنسلي الرجل الذي أريد، ولن أهتم برأي أحد ولا حتى أنت»

وأعششها ضحكاته فنظرت إليه وهي لا تصدق ثم قال لها:

«إن هذا كل ما يظنك»

وبرقت عيناه في ضوء القمر وفي لحظة شرسة ودت كاترين أن تصفعه، فقد لاحظت أن دموعها وغضبها لا تخفي شيئاً بالنسبة إليه بل وجدتها شيئاً مسلماً له

«إنني لا أعتبر المسألة مضحكة لهذا الحد.. يا ستيفان»

فأثارت ذلك بعدما تخلّصت من قبضة يديه، ووقفت تنظر إليه بغضب وكان جسمها كله يرفجف من أحاسيس مختلفة لم تفهمها، ولكن ما فكرت فيه أن ستيفان يجد زواجها من شخص يختاره لما ينسبه فكرة تضحكه وتسليه.

ولكنه في لحظة أصبح جاداً مرة أخرى. كان ضحكته شيئاً نادراً وقد ساءها أن ضحكاته كانت موجهة إليها، وقال لها بصوت خافت:

«نيكولاس لا يحفظ السر»

ونظر إليها بعينه السوداء وهي تتألفان كالفهم المتروك في الضوء الخافت ومرت لحظة صمت قال بعدها:

«ولكنه لم يخبرك عن الشخص الذي اخترته لك يا صغيتي»

فهرزت كاترين رأسها بالتالي على نحو حاسم وقالت:

«لا يتم من اختاره لي ولكني لن أتزوج إلا رجلاً أحبه»

«وهل تخمين نيكولاس؟»

سأل ذلك بصوت خفيض ونظرت إليه من خلال أظفارها الطويلة كي

تشعر بهذا السؤال ثم قالت أخيراً في هدوء:

«وهل يقيم أي شيء إذا كنت أحبه»

وابتمت ابتسامة متهملة لها معنى. وكان لها التأثير الأحمق على حواسها، حتى

أنه حاولت أن تتفادى نظراته الساعية إليها.

«أبدأ ولكني لا أريد أن أراك تتألمين يا كاترين»

«وانك...»

وحاولت عبقاً أن تجد الكلمات التي تعبر بها عن الغضب الذي اشتعل فيها

مرة أخرى. وأخيراً قالت:

«لم أر في حياتي رجلاً بارداً متجرباً من الإنسانية مثلك، ليس فبك ذرة إحساس،

إن كل ما يمسك هو التدخل في حياة الغير لتعلي إرادتك عليهم، أما أنت فلما تشعر

بأي شيء نحو أي شخص»

«اسكتي»

وتكلم بصوت خافت ولكن بريق عينيها أحاطها إلى لحظة باردة كالحديد،

ودت لسائته القوية السمراء فاسية في ضوء القمر الخافت، وشعرت كاترين

بيديها وجسمها كله يرفجف، ولم تستطع أن تعرف إذا كانت هذه اللحظة من

الغضب أو من عاطفة أخرى. وعرفت فقط في هذه اللحظة أنه تكرهه كما لم تكره

شخصاً آخر في الوجود. وودت لو أخبرته بذلك وودت عليه قابلة وقد تضلّصت

يداه بشدة،

«لن أسكت.. وأنا لست فرداً من عائلتك ولا ينبغي علي أن أفعل ما تريد، ولست

طغلة حتى تأمرني بالسكوت لجرؤ أنك لا تحب سماع ما أقول»



وأصبح اسمها بكلام كثير باللغة اليونانية، وبدأ وجهه غاضباً قلماً وأخذت كاثرين تنظر إليه مشحونة وقد اتسعت عيناها، ولجأة شعرت بخوف من القنص الذي سببته له.

ومد يده فجأة وجذبها إليه وضعا يرقه حتى أمكنها الشعور بقلبه يخفق بشدة تحت كفيها اللتين وضعتها على صدره، ثم قبض على خضلة من شعرها الأسمر وجذب رأسها إلى الخلف وقال وأتقاسه تلمب وجهها:

«يارد ومتجرد من الإنسانية! كيف تجرؤين أن تهكمني على بذلك».

وشعرت بقرته وهو يعانقها قراحت تقاومه خائفة، ثم تبع ذلك شعور بالاستسلام لهذه المواطف العنيفة، فصدرت منها أنات خافتة وهي ترفع ذراعيها وتطرق عنقه وتكرب منه. احتوت رأسه الداكن بين ينيها وأغشقت عينيها لفترة طويلة، واستسلمت إلى الأحاسيس العميقة المخيفة التي أبطلها لفترة طويلة. لكنها تذكرت فجأة «ألينا أندرياس». لا يمحا إذا كان هذا الارتباط قاتماً بينه وبين ألينا، وتذكرت النظرة التي بدت في عينيها وهي ترمق ستيفان في ليلة وصولها إلى الجزيرة. كما تذكرت ما أخبرتها به «ماريا» ثم هيلين عن الارتباط بين ألينا وستيفان، ودفعته عنها. إن الوحى القائم الذي رآه في عينيه عندما رفع رأسه أثار رجفة في كيانها كله، ولكنها نظرت إليه لفترة طويلة ثم قالت بصوت خافت:

«لا يا ستيفان! أنت لا تعتقد عن نيكولاس».

وأمكنها الآن من ذراعيها وضغط بأصابعه على جلدها الأملس وسأفا:

«والآن ما هي تهمني؟»

وبدا ليغشها ثابت الأعصاب بعدما تغلب على الشعور الجامح الذي اعتراه منذ لحظة

فهمت كاثرين تقول:

«ألينا أندرياس».

واعترافها شيء من الخوف عندما تحدث الريق الخاطف القاتم الذي بدأ في عينيها. فظهر إنيها بقسماته التي تشبه الصقر ولال وهو يجرها:

«ماذا تريد من قوله! وماذا تقولين عن ألينا أندرياس!»

«إنك سوف تتزوجها».

قالت ذلك بسرعة وهي تلتفت أنفاسها ثم أردفت تقول:

«قالت لي ماريا ذلك».

ثم نظرت إلى عنقه الأسمر وهو يردد برفة اسم أخته «ماريا» وهو رأسه وقال بصوت:

«إنني لا أستطيع أن أوبخ «ماريا» العزيزة ولكن كان يجب ألا تخبرك بتلك الأمور يا كاثرين».

وردت كاثرين بسرعة:

«ولا حتى هيلين».

ولاحظت أن فمه تقلص فجأة، ثم مرة بعد لحظة:

«ولا هيلين كذلك، أنا لست مرتبطاً بألينا أندرياس. ولم أرتبط بها أبداً، هل هذا برؤيتك».

ولم تشعر كاثرين في حياتها بضائتها وضعتها كما شعرت في تلك اللحظة وهرت رأسها لتبعد تلك الحواظر عن ذهنها الفلق وقالت:

«لست مجبراً على أن ترخصني يا ستيفان. وإنني أسلف لطرقي هذا الموضوع».

ولم يقل شيئاً، لكنها شعرت أنه لأن قليلاً، ومضى يضع خطوات ثم أخرج سيكارة أشعلها، وفي ضوء الولاة رأت كاثرين وجهه وقد كسبه ابتسامة باهتة، فتجسبت بسرعة تلويح والسيطرة على هذه العاصفة من المشاعر المتباينة. واقترب منها ووضع يده على ذراعها وقادها نحو المنزل. وكانت تسد أصابعه الحقيقية المتيرة على ذراعها قد أشعلت تلك الأحاسيس الغريبة التي انتابتها، لمحات ترفيف ثم تسكت وهي تمشي معه تحت الطلال سبب التيجار الذي قام بينهما، ولم تحاول أن تسأله عن ادعاءات نيكولاس بأنه يعد لها خطفاً

«يجب أن نعود يا كاترينا إلى المنزل ونفادى الآسن التي نطلق الأقاويل  
والاشاعات».

## ٩- الغرقى

منذ تلك الليلة المليئة بالاحداث التي لحاقاً فيها ستيفان وكاترين ونيكولاس  
معاً في الحديقة وأظهر غضبه الشديد وهي تبذل كل ما في وسعها لتتفادى  
الاجتماع بنيكولاس. ولم يكن هذا بالأمر الجين إذ كان ينشهر فرصة غياب  
ستيفان فيحاول التقرب منها.

وقد نجحت في تنادى لثامه. لكنه لمعها اليوم وهي تغادر المنزل إلى الشارع  
للاستحمام، فتبعها في السيارة ونحن بها في أول الطريق المؤدى إلى البحر وأقنعها  
أن تذهب معه إلى الطرف الشمالي من الجزيرة، مكانه المفضل للسياحة ولم يعبأ  
نيكولاس مطلقاً بسكوتهما واضطرابها حتى ولو كان قد لاحظته.

وكان الطفلان قد ذهبا إلى قبرص مع غريغوري وهيكتور والبنين  
الصغيرتين، لمجدة كاترين نفسها وعينة وكانت تود ثلاثي مسبعة نيكولاس  
التي لجز عليها التلاعب دائماً ولو أنها في الحقيقة كانت تفتقده.

وكان نيكولاس يكره فكرة وجودها كل صباح مع ستيفان والولدين وهو  
يعلمها ركوب المهرين والاشتاء بهما، وتقرر إليها شيء من الشك الآن عندما

اكتسبت لنفسها لفائدة طريقة خفرت لها. وكان صبر ستيفان مع الولدين يدهش كاترين. وهي القصبة الوحيدة المحيية إلى النفس التي اكتشفتها فيه كاترين حتى الآن. كان يعاملها بحزم إذا أخفطت عن عمد أو أساء التصرف. لكنه لا يفقد الصبر معها أبداً. وكان واضحاً جداً أن الولدين يعيدانه.

وفي الحقيقة كان الولدان مدللين لكثرة الاعتجاب بها فلم تدخر هيلين وسعاً في تدليلها. وظنت كاترين أن سبب حب هيلين لها كان يرجع إلى حبها لوالدها. وهي فكرة كانت كاترين لا تغيرها أي اهتمام. أما نيكولاس فلم ينتم إليها كثيراً وربما رجع ذلك إلى احتلالها مكانة في قلب والده. الأمر الذي لم يكن يعجبه.

كان طبيعياً أن يتبع نيكولاس فضوله حول أحداث تلك الليلة في الحديقة. ولكن كاترين لم تغفر له تركها تحت رحمة ستيفان والذهاب إلى المنزل. ولو أنها لم تنتظر منه أن يفعل شيئاً آخر. شعرت أن كرامتها أقيمت عندما تقل عنها وكانت تود لو أنه بقي ودافع عنها.

ولم يصدق نيكولاس كاترين عندما أخبرته أن الموضوع الذي طرفه ستيفان معها في الحديقة كان موضوع لقاتلها به ولذلك قال لها: «إذا كان ستيفان يريد التحدث في هذا الموضوع فلماذا أراد رؤيتك على انفراد؟»

وقد نيكولاس إلى جانبها على الرمل ووضع يده وراء رأسه وألمح يديه عينية وراء نظارته الشمسية. كان يبدو جذاباً في زيه المكون من بنطلون أبيض ناعم وقميص أزرق فاتح يشف عن جسمه الذي لفحته الشمس. ولما ذكرت كاترين المرة السابقة التي فاجأها فيها ستيفان عندما كانا يسبحان في هذا المكان بالذات.

وفجأة تفت كاترين أن تكون أكثر جدلية مع نيكولاس قليلاً قبل دعواته بعد اليوم. لكنها كانت عاجزة عن مقاومة إغوائه. وأكدت أن ستيفان

سوف ينشأ أجلاً أو عاجلاً أتيا معا على الشاطئ. فيأتي للفتور عليها. كانت فكرة احتال حضوره تثير للفتنة ولم يكن في وسعها أن تفعل شيئاً الآن. وكان نيكولاس قد رأى أخاه يدخل مكتبه للعمل وابتعد هذه الفرصة ليحلق بكاترين على الطريق المؤدي إلى الشاطئ. وكان واثقاً أنه سيجدها ولن يتروغ منه في جزيرة بحجم داكوتيس الصغيرة إذا أراد فعلاً أن يبحث عنها ويجدها.

وعادت كاترين تقول وهي تبسم: «كان لدى ستيفان الكثير للتحدث به. ولكنه لسبب أو لآخر لم يتحدث عن كل ما يريد.»

فجع نيكولاس عينيه وسألها وهو ينظر إليها بفضول لبرهة قليلة: «هل تعاركتا؟»

فهرزت كاترين رأسها بإيجاب وودت أن تشرح الحديث كله ولا تدع نيكولاس يعرف نتائج أو ما حدث تلك الليلة. ثم اعترفت لنيكولاس قائلة:

«قد تسميه عراكاً تبادلنا بعض التكميلات الجالفة.»

«ولكن كنتا قد تصافيتا عند رجوعكما إلى الفيلا. وإني أقسم على ذلك.» ثم خلع نظارته ونظر إليها مفكراً وقال:

«وهل عاتلك بعد ذلك وصالحك يا كاترين؟» وكانت هذه هي الحقيقة. لكنها أدارت وجهها عنه وتسلت نفسها باللعب في الرمل وقالت له بهدوء:

«تصافيتا...»

وترب وجهها منها وأعاد سؤاله بالحاج:

«هل تبادلنا القبل وهل تصالحنا؟» فقلبت كاترين وقالت له:

«ولكن هذا لا يخصك إطلاقاً يا نيكولاس.»



ثم ره عليها يقول وهو يضحك ضحكة صغراء:

«إنك لند ثلك. وأنت امرأة مثيرة حقاً يا كاترينا الجميلة حتى تجعلني أحيى نفسى نفسه ويقبلك في صورة القمر كأبي عاشق غريب»  
وردت عليه بعنف:

«إنك تباليغ كثيراً يا نيكولاس فلم يكن في الأمر شيء»

والتهبت وجنتاه. وأرادت أن «تقع نفسها عينا أن مسب تجلبها والتهبت وجنتها يرجع إلى أشعة الشمس الساخنة وحدها ولكنها شكت في أن نيكولاس يعتقد الشيء نفسه.  
فرد قائلاً بتهكم:

«لا ثم يكن في الأمر شيء. أنت لا تفهمين يا جيلسي. فاستيقان ليس بالرجل الذي يكفى بالفتنة في صورة القمر وتقبل فتاة جميلة إنده»  
وهو كفتيه ثم عاد يقول وهو ينظر إليها بعينه الفاكنتين ويتسم ابتسامة ذات مغزى:

«أتب؟ هذه الكلمة التي كنت أبحت عنها للتعبير يا كاترينا. وأنت فتاة محظوظة إذا أمكنك الحرب منه بعد قبلة واحدة فقط يا جيلسي»  
وردت عليه فائقة:

«لأنهمني الكلمة التي تبحث عنها ومهما كان رأيك في أخيك فأنا لست القريسة السهلة التي تظنها»

نظر إليها ميسراً لأنه استطاع أن يفضيها وأدار الحديث ثانية عن نفسه مزحواً:

«وهل تعاركتا بسبي؟»

قال ذلك وعيناه ترفقان وجهه الأسمر يتسم لبهيشها. كان همه أن يكون محمور حديثها ولذلك فابتته كاترين شروره بانتسامة شامسة ثم قالت معترفة:

الجزء الأول من المعارك كان بسبك لكن معظم المعارك كان بسبب تدخله في شؤون حياتي وترتيب مشروعاتي لا حقاً له فيها»

وغضب نيكولاس لقلها فقد تزعزع فيه غروره وعيس لذلك. ثم نهض وجلس ينظر إليها وقد ملأ الاتهام وجهه. كان واضحاً أن كلامها هذا لم يبعث الراحة في نفسه فوضع يديه فوق ركبتيه وخلق نظارته الشمسية وأمسكها بإحدى يديه.

«لذلك لم تقولي له شيئاً عن هذا الموضوع فهو سيصرف حتماً أنني مصدرة»

دعشت لذلك ونظرت إلى وجهه قائلة:

«هذا بالفضيل ما فهمه. ولا بد أن تعرف أبي سوف أكله في هذا الموضوع عندما أراد يا نيكولاس. وكان عليك أن تعرف أنني لن أدعه يفلت بدون أن يعلم به»  
وجلس برهة صامتاً ثم ضاقت عيناه وهو ينظر إليها بدفئة متسائلة:  
«ولما عرف أنني أخبرتكم ماذا...كيف...طبعاً أهيأ الموضوع بمسألة...أليس كذلك؟» ومرة أخرى جدل فيها متسائلاً:

وملأت كاترين كفها بالرجل الناعم وراحت تنثره وتذكرت قبضاً شيشاً جعلها تقطب جبينها وقالت بهذوء:

«ضحك عندما أخبرتته بالموضوع»

وكانت كمن يتحدث إلى نفسه.

وبدا نيكولاس وهو غير مصدق أذنيه. وقال:

«ضحك؟ ولماذا يضحك من موضوع كهذا؟»

ولكرت لحظة ثم قالت:

«لا أفهمي اعتبر الموضوع مضحكاً لأنني كنت غاشية جداً ووذ أن يعرف ما إذا أخبرتني من هو الرجل الذي يكرهه للزواج مني»  
ونظرت إليه لحظة ثم سألته:

«أنت لم تخبرني بذلك يا نيكولا فل تعرفه؟»

وهو نيكولاس رأسه نائياً ولكن عينيه برقنا وظهور ابتسامة على وجهه  
الرسم جعلت كاترين تشعر بالقلق.

وقال وهو يضحك ويهز رأسه:

«لو أنني لا أعرف ستيفان جيداً... لو أنني لا أعرف أنه شيء لا يمكن أن  
يصدق أنه لفتت أنه يعني نفسه يا جميلتي».

نظرت إليه كاترين بوجه عابس وقالت:

«نيكولاس»

ومرة أخرى ضحك وهو يهز رأسه يهدهو:

«لو أنني لا أعرف أنه من المضحك جداً أن ينظر على القفن مثل هذا الشيء»  
ومرة أخرى غابت غاضبة.

«نيكولاس»

كانت تلمس بغضب أكثر مما بدا في صورتها ولكن هذه الذكرة نفسها طأت  
على ذهنها فجأة فارتبكت وأخذت ترثف كأوراق الأشجار في هبوب الريح كانت  
بعيدة الاحتمال. بينما ضحك نيكولاس وهو رأسه مجنباً وقال:

«إنها مجرد دعابة يا جميلتي فهي فكرة بعيدة الاحتمال».

وقالت كاترين يهدهو:

«لا... لا... بكل تأكيد. رجل مثل ستيفان لا يمكن أن يجدي عروساً مرضية  
فيها. إنها فكرة غير واردة على الإطلاق».

وكان نيكولاس يتبسم وينظر إليها بوجهه الرسم الأسمر بشقة وقال:  
بصوت رقيق:

«قد لا يرى ستيفان أنك عروس جميلة أما أنا فأراك رائعة».

وعند يده فأخذ يدها ورفعها إلى شفتيه ليكتمها واستطرد قائلاً:

«سوف تكونين عروساً رائعة الجمال يا كاترينا».

ونظر إليها وقد تألفت عيناها البينتان وخفص صوته حتى أصبح عميقاً مغرباً

وقال:

«سوف تكون عروسة جذابة أنا وأنت يا كاترينا أليس كذلك».

وابتسمت كاترين ابتسامة لا تمل على شيء لأنها تعرف أنه لا يأخذ الأمور  
بجدية ولا حتى مثل هذا الموضوع. وقالت له وهي تهز رأسها:

«أشكرك يا نيكولاس ولكن الطريقة التي تعامل بها زوجتك المستقبلية  
تجعلني أرفض هذا الشرط بدون أي تردد».

وبدت كاترين غير مصدقة الاقتراح نيكولاس بالنسبة إلى ستيفان  
ولكنها لم تبد أي شبهة لمناقشته.

وضحك نيكولاس برقة فبدت أسنانه السوداء ومال نحوها وهو يقول  
بهدة:

«إنك مخلوقة لا قلب لها وسوف تدفعين الثمن ثلثياً لذلك يا جميلتي».

وقيل أن تنتبه لما كان يقصده حسداً إليه وهو يقبض على كتفها بعنف  
وقالت وهي تقاومه بشدة:

«لا يا نيكولاس، لا».

واستراها الحرف فجأة فراحات تقاومه وتقاوم بديه القليلين أطبقنا عليها بقوة  
تضحك برفق ولكنها لم تشعر في عنائه تلك الرغبة الضاربة التي جعلتها تقضع  
لستيفان، ووجدت نفسها غير مستعدة على عكس ما كانت تشعر من قبل.

ولما تركها أخيراً لم تبسم. كما أصدت أن تفعل. بل نظرت إليه وقد بدا  
الغضب في عينيها الحشراوين المتألفتين كما بدا الاستياء واضحا على وجهها.  
الأمر الذي لم يمكن نيكولاس بتوقعه.

كان واضحا أن ردة فعلها قد أذهله وقطع لحظة وهو ينظر إليها ثم قال:

«كاترينا لماذا تقطين مني».

فدفعته كاترين بعيداً عنها بكلتا يديها ثم جلست مرة أخرى وهي تهز

شعرها لتزيل عنه الرمال وقالت:

«أنت تعرف سبب غضبي، فأنت خطيب أتينا وقد ناقشنا ذلك الموضوع طويلاً»  
وقال نيكولاس يذكرها وقد بدأ الاستياء على وجهه:  
«ولكنك تعرفين شعوري نحو أثينا، فأنا لا أحبها لا أشعر نحوها بأي عاطفة»  
كان واضحاً أنه لا يجب أحداً يرفض مغازلاته ولم يخلف ذلك. وردت عليه  
كاترين قائلة:

«إن أجمع شجاعتك وصريح ذلك ثم انسخ الحطة نيل أن تعظم قلبها»

ثم سكنت لحظةً أصغلت بعدها بصوت رقيق:

«إنها تحبك كثيراً يا نيكولاس ولكنك سوف تجعلها تغمض جفن إذا لم تحسن  
معاملتك لها، وتغير من أسلوبك نحوها»

وقال نيكولاس مستائلاً:

«ولماذا أغير أسلوبى إذا كانت هذه الشغوفة البلهاء تحبني كما أنا؟ هذا بالأخص  
إلى أنني لا أستطيع أن أغير أسلوبى»

كان لا بد لكاترين أن تلاحظ نوعاً من انشغال العنيد في كلامه، فقد قال  
كل شيء بصراحة وتناول إحدى يديها في يديه وقبّل أصابعها وأخذ يتطلع إليها  
بعينه الداكنتين ثم قال:

«بل أنا لا أنفخ إلا لاجل أنك أنت فقط يا كاترين الجميلة. ولكن ماذا تفعلين إذا  
فسخت خفيتي؟ هل تقلبين الزواج متى عندك؟»

فقفز قلب كاترين هلعاً وهي تنصوّر رد فعل هذا الثرثار الحاسم على  
ستيفان. وتبينت أنها قالت شيئاً لنيكولاس اعتبره تشجيعاً له ولذلك كان  
يجب أن تصلح الضرر الذي أحدثته وأن تراجع قيا قائمته، ولم يكن في نيّتها على  
الاطلاق أن يتخذ خطوة واحدة لصالحها، وكانت مصالحة أثينا هي كل ما سيجها.  
وأخذ يدها بقبّل أصابعها مرة أخرى ونظر إليها بعينه الداكنتين مستائلاً وهو  
ينتظر ردها وسأله مرة أخرى:  
«كاترينا، هل أنسخ خطيتي؟»

وكان من العسير أن تعرف إذا كان جاداً فيما يقول أم لا، ربما كان يمزح معها  
كما يمزح عندما قال إن ستيفان يريد المغالاة عروساً له. ولكن يجب على  
كاترين ألا تتجاوز بشيء، فقالت:  
«بالطبع لن تفسخ خطيتك بسببي، لأن هذا آخر شيء أريده يا نيكولاس، فلن  
يسمح ستيفان بذلك»

وسجبت يدها من يده ونظرت إلى البحر الأزرق القليل، وأما وجه المادّة، على  
بعد أقدام قليلة منها، وعطفت شفتيها في قلق وهي تنظر إليه من خلال أحداها  
الطويلة. وبركت عيناه وأصبحتا مثل الفحم... مثل عيني أخيه وقال:

«ستيفان لابد أن ترفض ستيفان دائماً حتى أنت يا جيليتي! فعندما جفرت إلى  
الجوية كنت تلك النائرة الجميلة، ولكنك الآن تشعرين بالخوف مما قد يقوله  
ستيفان لك»

ونفت ذلك فائقة:

«إنني لا أخاف»

ولكنها كانت تعرف أنها لا تقول الحقيقة، وأصغلت بصوت أهدأ بعد لحظة:  
«إنه ليس الخوف منه بالضبط بل لأنه دائماً يهين وأتقاً من كل شيء، وهو مثلي لا  
يجب أن يرى أثينا شيئاً... قال هو نفسه ذلك»

«وهل تصديقيته؟»

وهزت كاترين رأسها بالإيجاب إذ كانت وألفة مما تقول:

«نعم يا نيكولاس، أصدقه»

«وهل تعتقن أنه ليس لي قلب؟»

ولاحظت أنه يرفض تلك الفكرة ولكنها كانت فكرة صحيحة إذا واجهت  
الحقائق بصراحة. نيكولاس لطيف وجذاب وله تأثير عليها ولكن أليامت على  
تصرفه هو هدف معين في نفسه، وهي تندرج نفسها إذا فكرت عكس ذلك. ثم  
لالت بعد لحظة:



«إذا كنت تريد الاستمرار في خطبتك لأتينا حسب الترتيبات التي أعدت لها  
ولك، فلا بد أن تراعي شعورنا أكثر مما تفعله الآن، هذا كل ما هنالك»  
وقال بسرعة:

«هذا كل ما هنالك: أنت لمحدثتي وكأنك مدوّنة وتلفين علي محاضرة كما يفعل  
ستيفان ثم تقولين لي: هذا كل ما هنالك»  
«أرجوك يا نيكولاس، أنا لم أقصد إلقاء محاضرة بل وودت تأجيل وتأجيل أتينا  
أيضاً أن نكون أقل...»

ولم تكمل عبارتها، ملأ وجهها الخجل فلم تنظر إليه بل راحت تبت بالرمال  
البيضاء الفضية ولجعلها تصاب من بين أصابعها، وقتت لو رفضت الحضور معه  
هنا إلى الشاطئ...»

كان السكون يحيط بها منظر الجزيرة تهرها ونيكولاس يردق لها ولكن  
معنى هذا أنها كانت قد خدعت نفسها وتتصور أنها سعيدة. لم تكن عاطفتها نوره  
بذلك العمق. لكنها كانت سعيدة. مثل غيرها من النساء. لطيفة جداً كانت  
مناكبة أنه سيحاول في أي لحظة الآن أن يتبعها، أن يتسبب عدم إخلاصه لأتينا  
ويتسببها ستيفان. وعدم رضاه عن سلوكها حتى تخضع وتستسلم لسحره الذي  
لا يتأزم ولكن لم يكن وجه أتينا الصغير المجرد من الجمال هو الذي لاح لها  
الآن. بل تخيلت وجه ستيفان القاسي الذي لا يلين، فهبت واقفة فجأة وقد بدا  
أنها متصصة على رأسها، وأزالت الرمال عن ساقبها وذراعبها العاريتين اللتين  
لجنتهما الشمس وقالت له بهدوء:

«سأرجع إلى المنزل يا نيكولاس وأرجو ألا تتبعني»  
وفي لحظة حب واقفاً بجانبها، وقد ظهر الغضب في وجهه وأصبح جبينه داكناً،  
وقبض على ذراعها بشدة وقال بصوت عال:

«لن تركبيني يا كاترينا، ولا أفري سبب معاملتك في هذه القصة ولكني أشعر  
أن أخي له يد في ذلك فهو يحذرك من الحديث معي على أفراد، وأنت تختلفين من

عالمته»

ونظر إلى وجهها بعينيه الداكنتين بربد برهبا، وهو يرفض أن يتصقح أن  
معاملتها له بهذا الجفاء لا ترجع إلى سبب آخر غير ستيفان.

«كاترينا»

وجذبها إليه وهو يحاول إقناعها حاسماً باسمها مرة أخرى رافعاً وجهها إليه  
ويقول:

«كاترينا يا جميلتي»

وقفت وأنها تنظر إلى نيكولاس لكنها رأت وجهها آخر قريباً جداً ينظر  
إليها. وجه كالثقور بلامح جامعة لونية وعينين سوداوين ثوبتان وقسم حصارم  
يتنزع منها كل مفارقة. فهزت رأسها فجأة وانسابت من بين ذراعي نيكولاس،  
ورأت نفسها تجري خوفاً نحو الأشجار. وتنتج إلى الطريق. ولم تحاول أن تنظر  
خلفها... وسعت نيكولاس يداها وهو يتعجب من هروبها المفاجيء، وسعته  
يتقدم نحوها بين الأحرار وهو قلق متصم أن يلحقها ويعثر عليها، فزادت من  
سرعتها ثم تسلقت المرتفع إلى الطريق، وفي تلك اللحظة لم تشر لها اختارت أن  
تهرب من محاولات نيكولاس بتلك الصورة سوى أن هربها المفاجيء، هذا  
كانت له صفة برؤيتها المخاطفة الخيفة لوجه ستيفان ولم تجد لذلك تفسيراً.

«كاترينا»

وشعرت أن نيكولاس تقدم نحوها أكثر فبرت من أمامه لاهية وهي تحاول  
أن تزيد من سرعة خطواتها، وكان شعرها الأحمر مشعنا وقد عشت به أغصان  
الأشجار، إلى أن رأت أخيراً الطريق يلوح أمامها. وقرت من الظلال إلى ضوء  
الشمس الساطع الذي كان يعني عينيها وشعرت بمساعدتين قريبين يسكان بها  
لتفك في مكانها، وهنا أدركت أنه ستيفان الذي يسك بها وليس نيكولاس.

كانت تتنفس بصعوبة ولم تستطع الكلام فراحت تهرز رأسها.

ونظرت كاترينا إلى وجهه فرأت خطوطاً رقيقة حول عينيها ولحمه، ورأت

نظرة قوية عتيقة في عينيهِ السوداءين جعلتها ترهيف فوقاً، ولكنها رطبت  
أصابعها ولبست وجهه بصورة تلقائية وقالت هاتمة وهي تحاول أن تلتقط  
أنفاسها.

«ستيفان، ماذا حدث؟»

فرد عليها غائلاً:

«أين نيكولاس؟»

كان لصوته نبرة باردة ونظره نحو الأسماء فرأى نيكولاس يخرج من بينها  
لافتاً وقد بان الغضب في عينيهِ. وقال نيكولاس بصوت عتيق متفجع قبل  
أن يستطيع ستيفان الكلام:

«هكذا كان عليّ أن أعرف ذلك بالطبع...»

فهزت كاترين رأسها ولم تحاول أن تتحرك بعيداً عن الأراج التي أحاطت  
كففيها. كانت الأصابع السوداء قد امتدت لتغطي كففيها وقيت بجانب  
ستيفان الذي قال لنيكولاس في صوت فائز هاضم: «أرجعت له كاترين:  
«انا في حاجة إليك»

ثم أضاف بحس عندما بدا على نيكولاس أنه يريد مناقشته:

«ولا تتأثني يا نيكولاس فهناك شيء هام وعاجل أريدك من أجله»

ولمسه له ما يريد باختصار باللغة البيوتانية بيتاً سار الثلاثة نحو السيارات  
الواقفة. ورمز نيكولاس كاترين بنظرة خاطفة غلظة، وشعرت كاترين أن  
هناك شيئاً يحدث. لقد تطلق ستيفان اسمها مرات كما أن طريقة ستيفان  
لوجسده أكبر سناً وأكثر حراً منه في أي يوم آخر كانت نظرة عينيهِ وصوته وكل  
شيء فيه يدل على أن شيئاً غليظاً ولح. فاستحلفت أن يخبرها بما جرى وهو يقودها  
نحو السيارة بيتاً ركب نيكولاس سيارته بدون أن يتنطق بكلمة واحدة.

ومرة أخرى توسلت إليه كاترين وهو يدير محرك السيارة وقالت:

«أرجوك يا ستيفان أخبرني بما وقع.»

وظل صامتاً لحظة، ولثقت كاترين أنه غاصب عليها لوجودها مع  
نيكولاس مرة ثانية ولكنه وضع يده على يدِها بحثان وهو يقود السيارة على  
طول الطريق اكتفى بالمتعرج إلى المنزل.

«كنت أود أن يتسع لي الوقت لأخول لك برقي أكثر ولكن لا وقت لي ليجب أن  
أعود لأفعلك في البحث»

ونظر إليها لحظة وتحدثت كاترين وأضافت قائلاً:

«أنت تعلمين أن غريغوري وهيلين فكرتا في مصاحبة الأطفال في نزهة على  
ظهر المركب»

وأوامت برأسها وشعرت بقلبيها يقرص بين ضلوعها واستطرد قائلاً:

«وقع حادث فلم تحطم فيه المركب عشروا حتى الآن على غريغوري وهيلين  
ويول سالمين»

وخيل إلى كاترين أنها تحولت إلى شمال من الثلج فبردت يداها وشعرت  
رأسها يرق بشدة ويكاد يتفجر وقالت في غلظة:

«هل هم...»

فهز رأسه وقال لها:

«غريغوري قاله الوصي وهيلين فقدت الوعي وهم ينتشلونها من الماء أما  
يول فلم يصب بشيء.»

فأغمضت كاترين عينيها وشكرت الله على سلامة يول. وبعد عدة ثوان  
استوعبت تماماً ما قاله ستيفان وتنهت أنه لم يشر إلى أليكس وألبيتين  
الصغيرتين وكانت كاترين تعجب صوفياً ومليناً، لكن كل أفكارها كانت مع  
أليكس في هدوئه ووجهه الصغير الجماد وصاحته تقول:

«لا، لا، يا ستيفان، لا...»

ومرة ثانية أمسك ستيفان يدها بأصابعه القوية يشدق عليها ويريد أن  
يخفف من حزنها، وكانت تشعر بالرغم من لوعتها أنه يود أن يفعل الكثير

لواصاتها. يود أن يأخذها بين ذراعيه ويحيطها تدفق وجهها في صدره ليكس  
أليكس. ولكن لم يكن هناك وقت كما قال، فاليحت مازال جارباً ولذلك يجب  
أن يشارك فيه رما دام هناك أي أمل في بقاء الأطفال الثلاثة على قيد الحياة فمن  
واجب كل رجل قادر أن يبحث عنهم، ثم فكرت فجأة في هيلين وكيف أنها  
شعرت بالأناية بعد وفاة الطفل الأول، فلم تميز أن طفلي هيتين مفقودتان  
أيضاً، فنظرت إلى وجه ستيفان الجاود الناكس بعنان ولا بد أنه تأثر كذلك فهو  
يجب الأطفال كلهم وخصوصاً أليكس وبول. ومدت يدها تغطي يده التي  
كانت تشك بعجلة القبلة وتقود السيارة بمهارة وسرعة زائدة فوق الطريق  
المترج. ثم قالت:

«أسفة يا ستيفان»

وأدار رأسه لينظر إليها ويقول برفقة زائدة:

«ولماذا تعقيرين لي يا صغيرتي»

ورجعت كاترين أن رفته جعلتها تقول أكثر إلى اليكاه لم تشأ أن تعقد  
الأمر أكثر بيكانتها فتالت:

«لأنني كنت أناية، فكرت في أليكس فقط ونسيت هيلين. ولكن ما مدى  
إصابة كل من غريغوري وهلين»

قالت ذلك بصوت حزين... وقال:

«عندما علمنا بالخبر قبل لنا إن هيلين قد أفاقت أما غريغوري فهو في  
طريقه إلى الوصي. وعندهذا تبين أن الأطفال الثلاثة مفقودون ولا بد أن القيل  
يرفهم وهم متعلقون بحطام المركبة»

وشعرت كاترين أن استيفان يرفض مجرد التفكير في عرفهم، ولذلك  
أصحت فجأة أنها عرفته أفضل بكثير من قبل، وأنها أصبحت قريبة منه أكثر من  
قبل. وقبل أن يتصلا إلى القبلة التفت مرة أخرى ونظر إليها وقال برفقة:

«كاترينا، لا يزال أمل...»

فاستعذبت لحظة اسمها باليونانية حتى في ذلك الوقت الحالك، وقالت:

«هل يظنون أن الأطفال يمكن العثور عليهم»

ولم تجز على ذكر أليكس الذي عليها أن تسخبله غارلاً في البحر وشعرت  
برغبة ملحة في اليكاه. وقال ستيفان بصوت هادئ:

«هناك أمل ولكن أخيل طير ذلك. لقد خرج أجمع بالضيق للبحث عنهم ولكن  
هؤلاء الصغار الثلاثة...»

ثم أوقف السيارة ووضع رأسه على ذراعيه، وكانت يدها تقيسان على عجلة  
القيادة بشدة وراح يتلو صلاة باللغة اليونانية بصوت هاس حزين.

وبرقت الشموع في عيني كاترينا وودت لو مدت يدها ولمست رأسه  
المتعني. وقبل أن توالها التجمعة وتغلق ذلك رفع رأسه وخرج من السيارة.  
فزلت كاترين ورأته ولم تنتظر أن يفتح لها الباب وتلفت أمام القبلة تنظر  
إليه بعنان وتقول متسائلة:

«هلنا يمكنني أن أفعل»

كانت حينها واسعين وقد بدأ ليها الآلم العميق والوعنة على الأطفال  
الثلاثة المفقودين. وأسفك ستيفان يدها لحظة ثم قال لها برفقة:

«صلي من أجلنا يا حبيبتي»

ثم ذهب.



خصلاته البراقة عن جبينها في لمسات رفيعة وفاح عطرها الغريب الذي تستعبد  
دائماً، ثم اتهمرت بعد ذلك دموعها.

قالت السيدة ميديوليس وهي ما زالت تذلك جبهتها بحركات زليخة  
أراحت كاترين.

هل تودين اليكاه يا صغيرتي أليكي إذا أردت ذلك؟

«أنا جائعة في مثل هذه المواقف وأسفة لأنه تتعشى شجاعته»

اجابته السيدة ميديوليس قائلة بحزن:

«لست عذاجة لكني أكبر منك سناً، فأنا أيضاً أليكي حراً على صوفيا وميليا  
وكذلك على ألكسندر أليكي بدموع صامتة. أما أنت فما زلت حديثة السن  
وبحاجة إلى اليكاه»

واستدت اليد الرقيقة على جبينها رفعت رأسها وبدأت الملاعب الدائكة مغمضة  
بالعاطفة حتى أن كاترين أجهشت باليكاه، فأغضت عينها وتشبثت شرب  
المرأة العجوز الحريري وراحت في محاولة يائسة تبعد عنها طيف أليكي  
الصغير وهو غارق في البحر خائف مملوع بكاه من صفراء لا يرى في رحاب  
الحظم الرابع، ثم قالت باكياً:

«إني لا أحصل فكرة - أن يكون أليكي...»

هل تحلمي يا صغيرتي؟

وأخذت تحلف دموع كاترين بتدبيلها الأبيض وتقول:

«سحق لك قهمل المأسى يا صغيرتي، ويملكك قهملها الآن إذا لم الأمر وتسلمي  
أطلب من الله أن يتع الشراء»

«استيقان طلب مني الصلاة من أجله»

قالت ذلك وهي تتخيل رأس ستيغان منحني على يديه وهي يحس.

«وإن يجب أن تحسلي يا كاترين»

وطراً على فمهن كاترين فجأة عند اللأسي التي تعرضت لها السيدة  
ميديوليس في حينها، فزوجها توفي في ريعان شبابه وتركها تشرد وحدها

## ١٠- لغة القلب

بدأ المنزل ساكناً على غير العادة، فارتجفت كاترين رغم دلبه الجو وحرارة  
الشمس التي بدأت طريقها إلى القروب. قامت من متعبها في غرفة الاستقبال  
وأجهت إلى النافذة العريضة، ووقفت تتطلع إلى المنظر الطبيعي الذي ألفته.  
فالمدينة تزخر بالزهور المتضرعة، بمراتها المتعرجة وأنجارها الوارفة المحجب عن  
العيون اسطيل خيول ستيغان ومهري الولدين.

وكانت تشعر أن السيدة ميديوليس ترقبها بنظرها، وفجأة تمت لو وجدت  
من يعيتها على تحمل هذا الحزن الذي لا يحتمل. فهي بحاجة إلى اليكاه ولكنها  
لم تكن واثقة أن السيدة ميديوليس يوجهها الجاد الذي يخفي حزنها ستر هذا  
اليكاه.

واستدارت عن النافذة ثم نظرت إلى السيدة العجوز الجالسة على أحد المقاعد  
الخارجية ذات الظهر المستقيم. عادة ساكنة في حزنها حتى إن كاترين تليكي  
ولكن السيدة نادتها ثلاثة:

«كاترين»

ومدت إليها بدأ حقيقة صغيرة، فأسرعت إليها وأمسكت بذلك اليد، ورأت  
لأول مرة الحزن العميق في عينيها السوداء بين اللتين تشبهان كل الشبه عيني  
ستيغان.

وركعت كاترين بجانب السيدة العجوز ووضعت رأسها على ركبتيها، ثم  
وضعت السيدة ميديوليس يدها على شعر كاترين الأحمر النحاسي وأراحت

«كاثريتا»

«ستيغانا» .

وتحضر صوتها، لكنها التفتت إلى السيدة ميديبوليس بسرعة وانسحبت ثم قالت له:

«عاشا هنا ونحن... ونحن».

«لأنك أن تكفكفي دموعك يا حبيبي فقد نجا الصغار الثلاثة، وهم بالطبع في حالة ذعور ورعب وبهم بعض الرخوض ولكنهم نجوا».

فتخيلت وجهه وقد كسسته ابتسامته الناعمة فهي تساته القوة السرا.

«لا أقوى على كبح دموعي».

وكانت تضحك وتبكي في آن واحد وودت لو كان معها الآن لعانقته فرحاً بدون تردد. وفي الحقيقة كانت تود أن تفعل من غير أن تسأل نفسها عن سبب ذلك. وتلقت السيدة ميديبوليس نوحها فلاحظت كاثرين أنها هربت فجأة وبدت صغيرة الحجم حقيقة المظهر عما كانت عليه منذ بطبع ساعات، تارلتها كاثرين الساعة فكلت أنها في هدوء باللغة اليونانية ثم استدارت وانصت لكاثرين واستمعت إليه ثانية وانصت ثانية لكاثرين ثم وضعت الساحة بعناية.

«تستحضر هيلن ومعها بول بضحية ستيغانا، هذه أخبار سارة كاثرين» . وتأملت عينها فرحاً ثم أضافت:

«هل رائعة وإني لا أصدق أن القصة انقشعت يا ماما».

فأخذت السيدة ميديبوليس يدي كاثرين بين يديها ونظرت إليها بنظراتها القوية الطيبة وانصت ابتساماً صغيرة وقالت لها:

«بدأت الآن يا صغيرتي تداوي «ماما» وأعتقد أن هذا أفضل».

ولمعت عينا السيدة ميديبوليس السوداء بغيث عندما تبهت كاثرين لذلك، ولم تسأل كاثرين السيدة ميديبوليس عن معنى لوطا، لكنها سمعت أزيز الطائرة التي لحمل ستيغانا إلى الجزيرة. وسيت حظه

لحظة أطفال صغار، ثم ففدت بعد ذلك ابتسما الشابين، والآن مجرد التفكير في وقد ثلاثة من أحفادها الأعزاء، يعتبر شيئاً لا يحتمل، لكنها وجدت نفسها قادرة على مؤاساة كاثرين التي قالت لها بصوت هادئ:

«كنت أحب ماريما كما أحببت أمي».

وأومأت السيدة ميديبوليس قائلة:

«نعم كانت ماريما ابنة جيلة وقد اختفائها كثيراً».

«وأنا كذلك».

وشعرت كاثرين بقصة في حلقها عندما تذكرت أن أليكس قد يقد حياته هو الآخر وهو بعد صغير السن، ثم رجعت تقول:

«أليكس يشبهها كثيراً مما يجعل المأساة شديدة».

«كاثريتا»

وراحت المرأة تدلك وجهها ووجهها مما جعل كاثرين تبكي طويلاً ورأسها في حضن المرأة العجوز.

وكانت الشمس قد غربت وحل المساء عندما رأى الحائط، انفجرت كاثرين بسرعة وبدأت في عينيها المحمرتين شبه أمل، لكنها وقفت لفترة طويلة تتأمل الحائط. أما السيدة ميديبوليس فجلست في مقعدا بدون حراك كمنشال حجر وأشارت بيدها الصغيرة التحيلة إلى الذي كان يرى باستمرار وقالت لكاثرين بصوت هزين:

«أرجوك، ليس لدي الشجاعة أن أرى «كاثرين».

وبنه هذا التصريح كاثرين فأسرعت وانفتحت الساعة وبدا ترعش وهي تضعها على أذنها. وقالت:

«هاللو»

وشعرت كاثرين بالراحة وهي تسمع صوت ستيغانا في الجهة الأخرى من الخط مبنياً سعيداً، يمر إليها بأخباره السارة. وانصت دموعها ثانية، وكانت دموع الفرح هذه المرة... إذ تأكدت من ثيرة صوته أنه يجعل أخباراً طيبة.



نيكولاس وهيلين وحتى بول كانوا معه»

ومرّ يومان قبل أن يسمح لغيرغوري بمغادرة المستشفى، لكن في اليوم التالي للحادث اصطحب ستيفان كاترين معه في الطائرة وأحضرا معها أليكس والبتين، وكان أليكس يلزم الصمت في البداية ويميل إلى التعلق بكاترين ولا يفارقها، لكن خاله ستيفان نجح في المساهمة بهم بمهارة ثانية. عاد الطفل إلى حالته الطبيعية.

أما بول يرحمه الطبيعي فقد بدا له هذا الحادث كثرة بحرية، وأخذ يتحدث عنها بلا انقطاع مما أزعج نيكولاس وأغضبه، فبالرغم من أنه شارك في البحث عن ابن أخيه والبتين، لم يتعلق بهم أكثر من قبل. وكان حب كاترين الطبيعي للأطفال يجعلها لا تفهم شعور نيكولاس أبداً.

لم يزل نيكولاس أي مجهود لرؤية كاترين بمفردها طوال اليومين الماضيين، ولم تعرف إذا كان ذلك بتأثير من ستيفان أم لا؟ وانتابها الفضول وودت لو عرفت السبب وراء هذا التغيير المفاجئ. فهي تشك في ستيفان ولكنها لم تتمكن من سؤال أي منها.

أما علاقة كاترين باستيفان فاعتراها تغير عميق. إنه الآن أكثر رقة وأقل عبرساً من قبل، وشعرت أنها أصبحت أكثر قرباً منه، وذكرها هذا بالشعور الذي انتابها في السيارة يوم وقوع الحادث عند عودتها من الشاطئ. كان من العسير عليها إدراك أنها اضطرت إلى الاعتقاد بأن شعوره نحوها لم يصبح أعمق كما حدث لشعورها نحوه. والواقع أن الرقة التي أظهرها نحوها عندما أخبرها بلقد أليكس جعلتها تفهم شخصيته على نحو أعمق وأفضل. وقد غطت هذه الرقة على استيائها الذي كانت تستعمله دعواً أمام سحره الكبير.

ورأت نفسها تلجأ إلى طرق لجعلها في صحبته دائماً حتى ولو كان الأطفال معها. وكانت غرفة نومها الملائمة المكان الوحيد الذي تسمح لنفسها فيه بالتصريح بحبها له. وكانت تعلم أنه حب بلا أمل فهي تعرف أنها ليست فتاة

أحلام ستيفان.

أما الشيء الذي أسعد كاترين حقاً فهو التحسن في علاقة هيلين وغيرغوري، فمنذ الحادث تقاربا وارتباطا. ولعل ذلك يرجع لتلك الساعات المائلة التي قضوها في إنقاذ بنتيهما، وكانت هيلين تهرع يومياً لزيارة لغيرغوري في المستشفى ثم رحت بعودته إلى المنزل في سعادة ومجبة.

وسعدت كاترين بهذا التغير، إذ كان ينتابها شعور بالذنب لدور أبيها في تعاسة هيلين التي أصبحت الآن تقدر زوجها وتحترمه.

ولم يكن نيكولاس بل ستيفان هو الذي تبع كاترين إلى المدينة ذلك المساء ذلك بعد رجوع لغيرغوري إلى المنزل، ولم تنبه كاترين لوجوده إلا بعد أن ناداها باسمها بصوت خفيض. ففزعت واستدارت ووضعت يدها على عينيها وبان في عينيها الخوف فأسألت ستيفان قائلاً:

«هل أفزعتك؟»

تبعتها ستيفان وهي سائرة نحو الأشجار، وذكرها ذلك بليلتها الأولى في الجزيرة. مال ستيفان على أحد أشجار السرو يتركز عليها كما فعل من قبل ثم أخرج سيكارة من جيبه وأشعلها.

وتذكرت كاترين أن مظهره في تلك الليلة أثارها وحرك الدم في عروقها. أما هذه الليلة فلم تشعر بالخوف منه. وبدلاً من أن تنظر إليه بشك ابتسمت له وتذكرت أيضاً أنه كانت ترتدي ثوباً قصيراً لونه أصفر، أما ثوبها اليوم فمصنوع من قماش ناعم يلتصق بجسمها الغض فيظهر مفاته ثم ينساب في اتساع عند قدميها.

وبدت ضئيلة الحجم دقيقة القد في ثوبها المصنوع من الشيفون الليوني، واقفة عند حافة مجموعة من الأشجار. وأخذ ستيفان ينظر إليها صامتاً، إن ضوء الهلال الوليد لم يتوغل في الأشجار الكثيفة فلم تتمكن من رؤية وجهه وتعبيراته فيها عدا يريق عينيها العميقتين.

وخلق قلبها بين ضلوعها يحذرهما منه لو تخلف ستيفان عن الحضور



ورادها قائما تشعر به. وارتجفت لقربه منها وأحست بحرارة جسمه على ظهرها  
وكتفها العاريين. وبقوة ذراعيه كلها لمستها. وكان هذا الشعور يسبب لها  
الرجفة. ثم سألت:

«وهل يدهشك هذا؟»

فهزت رأسها بسرعة وقالت وهي تتذكر هيلين و غريغوري:

«لا، ولكن هناك أني لم أرها يخرجان معاً منذ أتيت إلى هنا.»

فاستطرد قائلاً:

«إنها عاشقان.»

وشعرت كاترين بالسرور لمجرد سماع هذه العبارة البسيطة ثم أفاضت  
رأسها إليه وهي تبسم وتقول:

«إنك تتكلم بلهجة الراقص بما يقول.»

فهز رأسه وقال بجدية:

«صحيح.»

وكما حدث في المرات السابقة وضع يده على ذراعها، وكان كفه دافئاً وناعماً  
وأصابعه قوية، فخفق قلب كاترين بشدة بين ضلوعها وهي تجوب الشاطئ،  
الرملي وتتنظر إلى ذلك القمر القضي وسمعته يقول لها برقة:

«أرأيت كيف تتجح دائماً مساعي للتوفيق في زواج الناس.»

فظهرت إليه وهي غير مصدقة. كانت غارقة في أحاسيسها نحوه وتوسيت  
سعيها لايجاد زوج لها. وفجأة شعرت بالبرودة تسري في جسمها والدهشة تعقد  
لسانها.

«هل مازلت تنوي البحث لي عن زوج؟»

قالت ذلك بصوت هائس وعينها تدرسان وجهه الذي لم يظهر لها واضحاً في  
ضوء القمر الخافت، ولكن عينيه كانتا تهرقان ولم تتمكن كاترين من قراءة ما  
فيهما من معان وسألها بهدوء:

«ألا تريدان الزواج؟»

وضغطت على يديها بشدة حتى تكفا عن الارتجاف، ثم مشيت تحت ظلال  
الأشجار قبل أن تستدير وتواجهه وسمعته يقول برقة:

«هل كنت في انتظار نيكولاس؟»

نظرت إليه عاتية وهي تحاول أن تهديء من صوتها:

«لا، لا بد أنك قد جننته ثانية فأطاع هذه المرة.»

وافق استيفان على كلامها قائلاً:

«أعتقد ذلك.»

ثم استدارت ومشيت بين الأشجار المزهرة التي لم تتيين ألوان زهورها في الضوء  
الخافت، لكن رائحتها كانت قوية نفاذة. ثم خرجت إلى ضوء القمر ونظرت إلى  
الحلال الوليد فوجدته اليوم ظلاً باهتاً إذا قورن بضوء القمر عند اكتماله.

وتبعها استيفان كما توقعته، ولم يجرؤ على النظر إليه لأنه يثير في نفسها  
كل المشاعر التي تؤذ أن تخفيها عن نفسها. فرأسه المتغطرس بشعره الأسود وتلك  
القصبات التي تشبه الصغر وأنته الأشم وفعه النادر الانقسام، الذي إذا ابتسم  
يجعل نبضها يتسارع. كلها أصبحت حبيبة إلى نفسها خلال الأيام القليلة  
الماضية، وكانت تود من كل قلبها أن يجعله يشعر بأحاسيسها.

ولفت نظرها شيء يلعب في الرمال تحت قدميها مباشرة فانحنيت والنقطة  
ولبته في يدها لتتعرف عليه. ثم قالت: استيفان:

«إنها حلقة من ثوب هيلين الأزرق، أصاعتها عندما كانت تنزه مع  
غريغوري هنا الليلة الماضية.»

«لكن أعطيتها لها.»

وكان كلامه طبعياً هادئاً لكن قلب كاترين أنبأها بعكس ذلك، فارتجفت  
أصابعها وهي تلبس على تلك الحلقة البراقة وضحكت ضحكة فيها شيء من  
العصبية وقالت:

«لم أر هيلين و غريغوري قبل ذلك يخرجان للزفة في ضوء القمر.»

وتساءلت هل يخفيه أن تناقش أمور عائلته بهذه الصراحة؟ وكان سائرا

«ليس...»

«حتى ولو كان رجلاً تحبته؟»

لصاحت كاترين تقول وهي ساخطة:

«بهدي لو رأيت وجهك، فليست متأكدة إذا كنت جاداً أم مازحاً، لا أستطيع أن

أصدق أنك جاد»

فأكد لها ذلك قائلاً:

«إنني جاد جداً»

«إذن فأنت جبار لا قلب لك، عديم الإنسانية»

فرد عليها بهرود قائلاً:

«لا أحب أن أتعط هذه الصفات، وأحب أن أذكرك أنني يا حبيبتي قد برهنت عن

خطأك من قبل»

ثم أوقفها وظلت يدها تمسكان بها وإبهامه يتحسس جلدنا الأملس وقال:

«ألا تريدني حتى أن تعري من هو الذي اخترته لك يا صغيرتي؟»

فنظرت إليه كاترين محمقة في صمت، وأردف يقول:

«حتى لو كان رجلاً تحبته؟»

فقالت بصوت خفيض:

«إنني لا أحب نيكولاس»

وظهرت على وجهه ابتسامة خاطفة وقال لها:

«ولكنني لم أذكر نيكولاس يا كاترينا»

«إذن من هو؟»

وحسب أنفاسها انتظراً لرده، وكان وجهه قريباً منها، فرأت في عينيه

السوداوين ما جعل نبضها يسرع بجنون، ونظرت إليه بعينين متسائلتين وقالت:

«ستيفان؟»

فامتدت ذراعاه القويتان اللتان لا تقاومان وضعاها إليه، وشعرت بحرارته،

ووضعت كليهما على صدره لتحس دقات قلبه الرتيبة القوية.

وكان يريق عينيه كافيّاً لأن يحرك دماها ويسكرها، فرفعت قواصمها وطرفت

عنده، ولم تحسّ بالضغط أو التحفظ بل شعرت بشعور قوي لأنه قهرها وأحبها.

وكان عنقه يحوي كل معاني الامتلاك، فراحات مقاومتها له تقشر وهي

تجواب مع شعورها القوي الذي كان يلقها في الأيام الماضية. وكانت يدها

القويتان اللتان تحسسانها والكلمات التي يحس بها في أذنيها بلغت البيوتانية

أشبه بالسحر الذي خضعت لتأثيره بدون أي تفكير، وسمعته يقول:

«هل تتزوجيني؟»

ويرقت عيناه في الضوء الخافت وهزت كاترين رأسها موافقة ولكنها أدركت

أنه لن يراها.

ونظرت إليه وعيناه تيرقان كالجواهر، ووضعت أصبعها على فمه وشعرت براحة

وسكون في قلبها حتى خيل إليها أنه كلف عن الحلقان، ثم قالت له برفق:

«هل تسألني؟»

ضمها إليه بقوة وعانقها طويلاً مما جعلها تميز عن النفس ثم قال لها:

«لا تعشي بي يا حبيبتي، أريدك الآن»

وكانت كاترين تغامر بهذا السؤال وتعرف ذلك، ولكنه ضمها إليه بشدة

وقال لها بصراحة:

«لأنني أحبك. ولا بد أن أجعلك تندمين على طريقة معاملتك لي، أليس لديك راحة

لتتركيني في حيرة هكذا؟»

فوضعت كاترين يدها على وجهه ولمست خديه وقالت:

«ستيفان، أردت أن أسمع هذه الكلمة منك فإني قد قال نيكولاس...»

«لاشك أن نيكولاس قال لك كلاماً كثيراً وكان من الحكمة ألا يفعل»

واحتوى وجهها الصغير بين يديه ونظر إلى ملامحها وعينيهما الخضراوين

الكبيرتين وابتم تلك الانبسامة النادرة وقال لها:

«ولكنني أعرف ما يلفك، فهل تصدقي يا صغيرتي إذا قلت لك إنني لم أنظر إلى



امراة أخرى منذ حضورك إلى هنا - هل تصدقيني؟

فردت هاسية:

«أصدقك وأحبك كثيراً ولن أجعل شيئاً من الماضي يثني عنك».

«كان لي عزمي أن أطلب منك الزواج ليلة وجدتك مع نيكولاس هنا، ولكنك

كنت غاضبة مني، وكان من العسير أن تصدقي نيتي حينئذ يا حبيبتي».

فتنهدت كاترين وأسفت على ذلك الوقت الذي أضاعاه. وقالت له:

«ليتك فعلت ذلك إذ كان من السهل عليك إقناعي تلك الليلة».

ثم طوقها بذراعيه ثانية وقرّبها منه وأحس رأسه وشعرته بأنفاسه، وقال لها:

«سوف أتذكر عندما تبدين لي العناد في المستقبل. والآن اعطني جرابك فوراً، هل

تزوجيني؟ أم يتعين علي أن أفعلك حتى أحظى برك؟»

فردت هاسية:

«أتمنى أن تفعل».

وضحكت ضحكة ناعمة أسكتها بعدها بعناق طويل.